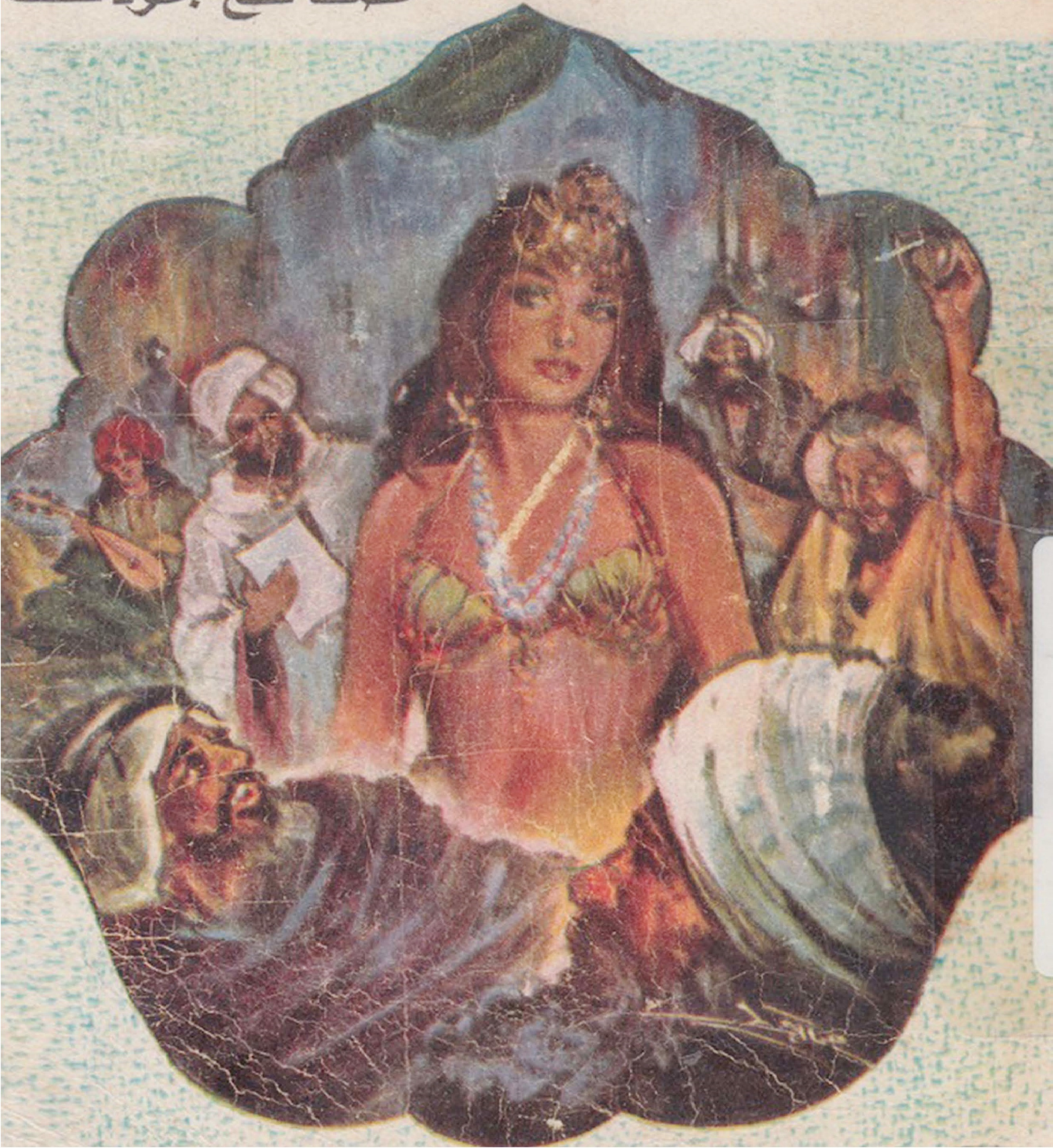
كتاب الهلال

شعراء المجون

صالح جودت

سلسلة
ثقافية
شهرية



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعى

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٢٦٤ ـ شوال ١٣٩٢ ـ ديسمبر ١٩٧٢

No. 264 — Decembre 1972

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر أنحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٢ جـ ك ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ••

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـلاف بريشـــــة
الفنان جمـــال قطب

صالح جودت

شعراء المجون

دار الهلال

روحوا القلوب ساعة بعد ســـــاعة ،

فــــان القلوب اذا كلت عميــــــت

« حديث شريف »



ابن الحجاج

على نحت القوافي من معادنهـــــا
وما على اذا لم تفهم البقـــــر ؟

هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحجاج . وقد تولى حسـبة بغداد الى ان عزل منها لفرط مجونه .

ويقول عنه مؤرخو الادب انه شـاعر مفلق ، وقد جعلوه في مرتبـة امرىء القيس ، وقالوا : ولم يكن بينهما من هو مثلهما ، وان كان جل شعره في المجون.

أما ياقوت ، فيكره ابن الحجاج الى حـد انه كان يود او أنه لم يذكره في معجمه ، ويقول لولا قول ابراهيم لابن المهدى ان جد الادب جد ، وهزله هزل ، لصنت كتابى هذا عن مثل هذا المجون

والواقع ان أكثر شعر ابن الحجاج مما تعف عن ذكره الاقلام والالسنة . ولـكن لا سبيل مع هذا الى انـكار ان ابن الحجاج كانت له طريقته الخاصـة في خلاعته ومجونه ، لم يسبقه اليها أحد ، وان الفـاظه تتميز بالعذوبة والسلاسة .

وقد مدح الملوك والامراء والوزراء ، فلم تكن هيبتهم بمانعته من التبسط معهم الى حـد الهزل دون أن يغضبوا عليه ، بل انهم كانوا يتقبلون هـــــذا منه بالاحسان والانعام .

وحسبك منه أن تقرأ بعض مدحته فى الامير عز الدولة بختيار ، لتعجب من استحسان الامير لمثل هـــــذه المدحة

فديت وجـه الامير من قمـر
يجلـو القـذى نوره عن البصر
فـديت من وجهـه يشـككنى
فى انه من ســـــلالة البشر
ان زليخـــا لو أبصرتك لمـا
ملت الى الحشر لذة النظر (١)
ولم تقس يوسـفا اليـك كما
نجم السهى لا يقـــاس بالقمـر
وكان يا سيـدى قميصـك ان
هربت منهـــا ينقـد من دبر
بل وحيـاتى ، لو كنت يوسفها
لم تك من تهمـة العزيز برى
لأننى عـــالم بأنك لـــو
شـــممت ريا نســيمها العطر
ســـبقتها وانزلقت تتبعهـــا
ما بين تلك البيـوت والحـجر

ويمضى بعد ذلك فى مدح سواة زليخا وسواة الامير، والامير يسمع ويبتسم !

***

وكان له كثير من الهجاء ، منه قوله فى بعض من لم يحسنوا اليه :

---

(١) زنيخا امراة العزيز ، صاحبة القصة مع يوسف عليه السلام ، وفى الابيات التالية اشـــارات الى القصة .

قد قلت لما غدا مدحى فما شكروا
وراح ذمى فما بالوا ولا شعروا
على نحت القوافى من معادنها
وما على اذا لم تفهمِ البقر

وان ابن الحجاج ليصف نفسه ، فى قصيدة لا تخلو من الفخر ، وان كان يعترف فيها بالسخف فى شعره يقول عن نفسه

رجل يدعى النبوة فى السخـ
ـف ، ومن ذا يشك فى الانباء
جاء بالمعجزات يدعو اليها
فأجيبوا يا معشر السخفاء
حدث السن لم يزل يتلقى
علمه بالمشايخ الكبراء
خاطر يصفع الفرزدق فى الشعـ
ـر ، ونحو . (١) أم الكسائى
غير انى أصبحت أضيع فى القو
م من البدر فى ليالى الشتاء

***

ثم يعتذر – فى قصيدة أخرى – عن هذا التردى بمستوى الشعر ، بأنه لو اراد أن يتسامى لاستطاع ، ولكنه يتبذل فى نظمه من اجل لقمة العيش. يقول

بالله يا أحمد بن عمرو
تعرف للناس مثل شعرى ؟
شعر يفيض الكنيف منه

(١) الكلمة المنقوطة . نعل صريح

من جانبي خاطري وفكري
فلفظه منتن المعاني
كأنه فلتة بحجر
لو جد شعري رأيت فيه
كواكب الليل كيف تسري
وانما هزله مجون
يمشي به في المعاش امري

وهذا قول صدق .

فمن قليل شعره الجاد ، ندرك انه لو أمن غائلة الفقر لانقلب أمره ، فصار أكثره للجد وأقله للمجون .

فمن جميل خمرياته

يا صاحبي استيقظا من رقدة
تزري على عقل اللبيب الاكيس
هذي المجرة والنجوم كأنها
نهر تدفق في حديقة نرجس
وارى الصبا قد غلست بنسيمها
فعلام شرب الراح غير مغلس ؟
قوما اسقياني قهوة رومية
من عهد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف اذا تسلط حكمها
موت العقول الى حياة الانفس

ومن جميل وصفه لفوارة (نافورة) عند أحد الامراء :

صنعت في دارك فوارة
اغرقت في الارض بها الانجما

فاض على نجم السـهى ماؤها
فأصبحت ارضك تسقى السما

***

وقد توفى ابن الحجاج سنة ٣٩١ هـ ، وأوصى بأن يدفن عند قدمى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وأن يكتب على قبره « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » اذ هو شيعى المذهب . وقد نفذت وصيته ، ويقال ان بعض أصحابه رأوه فى المنام بعد وفاته ، فسألوه عن حاله ، فقال :

افسد سوء مذهبى
فى الشعر حسن مذهبى
لم يرض مولاى على
سبى لاصحاب النبى



ابن سيابة

« لان القى الله تبارك وتعـــالى
بذل المعـــاصى ، فيرحمني ، احب
الي من ان القـــاه التبختـــر
ادلالا بحســـناتى ، فيمقتنى »

اسمه ابراهيم بن سيابة ، من موالى بنى هاشم وكان ماجنا خليعا حاضر النكتة ، يحب أهل الفناء ، ويمدح ابراهيم الموصلى وابنه اسحق ، فيجزيانه بأن يغنيا بعض شعره أمام الخلفاء ، فيناله من ذلك بعض الخير .

وكان مخنثا منحلا زنديقا

ومن وقائعه مع بشار بن برد ، انه جاءه يوما يقول له : ما رايت أعمى قط الا وقـد عوض من بصره : اما الحفظ والذكاء ، واما حسن الصوت ، فأى شيء عوضت ؟

فقال بشار الا ارى ثقيلا مثلك !

ويروى ان ابن سـيابة لقى ذات يوم غلاما أمرد ، فغمزه ، فاستجاب له الغلام ومضى معه الى بيتـه ، فأكلا وشربا ، ثم قال له الغلام انت يا ابن سـيابة زنديق ؟

قال نعم ...

قال أحب أن تعلمني الزندقة ...

قال : افعل ، وكرامة ...

ثم هم به ، فصاح به الغلام : ماذا تفعل ؟

قال : اعلمك الزندقة ، وهذا أول باب فى شرائعها.

***

وكان ابن سيابة فى طريق ، فلقى غلاما أمرد يعرفه ، ومع الغلام جارية مغنية ، اسمها رخاص ، تحب الغلام. فتلكأ ابن سيابة ، حتى سلم على الغلام ، وقبله قبلة تحمل الريبة ، فسبته الجارية سبا شديدا ، ثم هجره الغلام بعد ذلك . فقال ابن سيابة يلوم الغلام على هجره :

قل للذى ليس لى من
يدى هواه خلاص
أئن لثمتك سرا
فابصرتنى رخاص
وقال فى ذاك قوم
على انتقاصى حراص
هجرتنى واتتنى
شتيمة وانتقاص
فهاك فاقتص منى
ان الجروح قصاص

وعوتب ابن سيابة على مجونه ، فقال لمعاتبيه ويلكم ، لأن القى الله تبارك وتعالى بذل المعاصى فيرحمني ، احب الى من أن القاه اتبختر ادلالا بحسناتى فيمقتنى !

***

ولابن سيابة لمحات شعرية لطيفة ، وان لم تصل به الى مكانة بين شعراء عصره .

من ذلك انه عشق جارية سوداء ، وقال يسوغ هذا اللون من العشق ، وهو معنى مألوف عولج من قبله ومن بعده ، وان كان ابن سيابة قد احسن صياغته

يكون الخال فى وجه قبيح
فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مفتون على من
يراها كلها فى العين خالا

وله فى استعطاف الفضل بن ربيع ، عندما سخط عليه لكثرة مجونه

ان كان جرمى قد أحاط بحرمتى
فأحط بجرمى عفوك المأمولا
فكم ارتجيتك فى التى لا يرتجى
فى مثلها أحد فنلت السولا
وضللت عنك فلم أجد لى مذهبا
ووجدت حلمك لى عليك دليلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ، ورضى عنه ، وامر له بعشرة آلاف درهم



ابن لنكك

نعيب زماننا ، والعيب فينـــــــا
ولونطق الزمان اذن هجـــــــانا

هو محمد بن محمد بن جعفر، ابو الحسن ، المعروف بابن لنكك البصرى

كان صدر ادباء البصرة فى زمانه ، ولعله اراد ان يكون من فحول شعراء العربيـة ، ولـكن القدر سـد عليه الطريق ، بأن ظهـر فى عصره شـاعران اولى منه بكل مكانة ، ارتفع نجمـاهمـا ، وملأ شـعرهما الاسـماع والابصـار ، همـا ابو رياش اليمـامى ، وأبو الطيب المتنبى .

ولم ترق موهبته الى مستوى عبقريتهما ، فلم يجد من سبيل يظهر به ضوؤه ولو خافتا فى سـماء نورهما المبهر ، الا أن ينقلب عليهما فيهجوهما ويعدد مثالبهما ويقف حياته على هـذا الدرب ، ويتجاوزهما فى بعض الأحيان الى شكوى زمانه ، وهجاء سائر شعراء عصره .

وشعره فى كل هـذا لا يزيد فى أكثر الاحيان على البيتين أو الثـلاثة ، مما يدل على انه لم يكن مهيـأ للفحولة ، وان كان مهيأ للمجون

فمن قوله فى شكوى الزمان :

نحن والله فى زمان غشـــوم
لو رأينــاه فى المنـام فزعنـا
يصبح الناس فيه من سوء حال

حقّ من مات منهمو أن يهنا

ومنه :

جار الزمان علينا في تصرفه
وای دهر على الاحرار لم يجر ؟
عندي من الدهر ما لو ان أيسره
يلقى على الفلك الدوار لم يدر

ومنه

نحن من الدهر في اعاجيبا
فنسأل الله صبر ايوبا
اقفرت الارض من محاسنها
فابك عليها بكاء يعقوبا

وهكذا ترى في هذه الابيات الستة ان معانيها كسائر اقوال الناس في شكوى الزمن ، الا البيت الثاني من المقطعة الثانية فهو وحده الذي يرقى الى مستوى الجدة .

وكان يحنق اذا كان في مجلس تردد فيه مدح سواه من اهل الادب والفضل ، ويقول :

زمان قد تفرغ للفضول
وسود كل ذي حمق جهول
فان أحببتمو فيه ارتفاعا
فكونوا جاهلين بلا عقول

***

ومع قلة ذكره ، فان له أبياتا مفردة سارت على السنة الناس حتى عصرنا هذا ، كالبيتين الاولين في هذه المقطعة :

يعيب الناس كلهم الزمانا
وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زمانـنـا والعيب فينا
ولو نطق الزمان ، اذن هجانا
ذئاب كلنـا فى زى ناس
فسبحان الذى فيـه برانا
يعاف الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنـا بعضـا عيانا

***

اما قوله فى هجاء الشاعر أبى رياش اليمامى ، فكثير من أقبحه قوله :

نبئت ان أبا رياش قـد حوى
علم اللغـات وفاق فيمـا يدعى
من مخبرى عنه ، فانى سـائل
من كان حنكه ب . . الاصمعى (١)

ولـكنه خص المتنبى بنصيب أوفر من أهاجيه ، لان المتنبى كان ألمع نجما من اليمامى ، واطفـأ منه لضـوء ابن لنكك .

قال فيه معرضا بتسميته « المتنبى » وبحظوته عند أصحاب النعمة :

ما اوقح المتنـــبى
فيمـــا حكى وادعاه
ابيح مالا عظيـــما
حتى أباح قفـــاه
يا سـائلى عن غنـاه
من ذاك كان غنـاه
ان كان ذاك نبيـــا
فالجاثليـــق اله (٢)

---

(١) الكلمة المنقوطة ، سواة الرجل .
(٢) الجاثليق : رئيس الاساقفة .

وقال فى هجائه معرضا بأبيه ، اذ كان ابوه سقاء بالكوفة

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم
ضلوا عن الرشد من جهل به وعموا
اعطيتم المتنبى فوق منيته
فزوجوه برغم أمهاتكمو
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها
نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

ومن أقبح قوله فيه هذان البيتان

متنبيكم ابن سقاء كوفا
ن ، ويوحى من الكنيف اليه
كان من فيه يسلح الشعر حتى
سلحت فقحة الزمان عليه

***

على انه لم يترك احدا من أهل العلم والادب والفضل فى زمانه الا هجاه كما أسلفت القول

قال يهجو علماء الفقه

اقول لعصبة بالفقه صالت
وقالت ما خلا ذا العلم باطل
اجل لا علم يوصلكم سواه
الى مال اليتامى والارامل

وقال يهجو الشاعر الرملى ، وكانت بينهما خصومة

حلف الرملى فيما
قص عنه وحكاه
يدعى يوم اصطلحنا

انني قبلت فاه
لم اقبل فاه ، لكن
قبلت نعلى قفاه

***

وقال يهجو المبرمان النحوى

صداع من كلامك يعترينا
وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت
لقد أبرمتنا يا مبرمان

***

واخيرا ... هجا اهل زمانه جميعا ، وقال فيهم

مضى الاحرار وانقرضوا وبادوا
وخلفنى الزمان على علوج (١)
وقالوا قد لزمت البيت جدا
فقلت لفقد فائدة الخروج
فمن القى اذا أبصرت فيهم
قرودا راكبين على السروج
زمان عز فيه الجود حتى
كأن الجود فى أعلى البروج !

---

(١) العلج ، العير ، والحمار ، من كفار العجم .



ابن المعـذل

اى ماء لحـــــــــر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل الســــــؤال

هو عبد الصمد بن المعذل ، ويكنى أبا القاسم .

وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصرى المولد والنشأة .

وكان هجاء خبيث اللسان .

وكان أخوه أحمد بن المعذل شاعرا أيضا ، الا انه كان عفيفا ، ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وله جاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه فيه عبد الصمد ، ولهذا كان هـذا يحسده ويهجوه ، فيحلم أحمد عنه .

على ان عبد الصمد ــ برغم مجونه ــ كان اشعر من اخيه .

وكان أبوهما المعذل ، وجدهما غيلان ، شاعرين أيضا ومن شعر أبيهما قوله

الى الله اشكو لا الى الناس اننى
أرى صالح الاعمال لا أستطيعها
ارى خلة فى اخوة واقارب
وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قدرة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وكان أبوهما المعذل هجاء كابنه عبد الصمد . هجاه ابان اللاحقى يوما ، قائلا :

كنت أمشي مع المعـــذل يوما
ففسا فسوة فـكدت أطـــير
فتلفت هــــــل ارى ظربانا
من ورائى والارض بى تستدير (١)
فاذا ليــس غــيره ، واذا اعـ
ـصـــار ذاك الفساء منه يفور
فتعجبت ثم قلت لقـد أعـ
ـرف ، هذا فيما أرى خنزير

فأجاب المعذل قائلا

صحفت أمك اذ سمتك فى المهـد أبانا
قد علمنـــا ما ارادت ، لم ترد الا أتانا
صيرت باء مكان التاء والله عيانا
قطع الله وشيكا من مسميك اللسانا

***

ونعود الى عبد الصمد بن المعذل ، فنقول انه على قلة دينه ، وفساد سيرته ، وميله الى الغلمان ، كان يكثر من هجاء الزناة واتهامهم بالمعصية .

من ذلك ان شروين المغنى ، وقد كان حسن الصوت والضرب ، كان يعشق النساء ، ولا يبلغ فى غنائه الاوج الا اذا شاهد امرأة ، ولهذا كان من يحبون أن يسمعوه ، يجيئون بجويرية ســــوداء ، تطالعه وتلوح له بخرقة حمراء ، ليظنها امراة تطــالعه . فكان حينئــذ يحسن الغناء فغضب عليه عبد الصمد فى بعض الامـــور ، فقال يهجوه :

من حــل شروين له منزلا
فلتنهــه الاولى عن الثــانيه
فليــس يدعــوه الى بيتــه

(١) الظربان حيوان صغيرنتن يقال انه اذا فسا فى ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى .

الا فتى فى بيتـه زانيـه

وكان فى البصرة رجـل من الزناة ، وكانت امراته تزنى هى الاخرى ، فقال عبد الصمد يخاطبها

ان كنت قد صفرت اذن الفتى
فطـالمـا صـفر آذانا
لا تعجبى ان كنت كشخنته
فانما كشـخنت كشـخانا

والـكشخان هو القـواد

***

ومن رقيق غزل عبد الصمد ، هـذا القول فى فتى من اصدقائه عشق جارية حلوة :

لسـان الهوى ينطق
وشـاهده يصـدق
لقد نم هـذا الهوى
عليك وما يشـفق
اذا لم تكن عاشـقا
فقلبك لم يخفق ؟
ومالك اما بـدت
تحار فـلا تنطق ؟
أشـمس تجلت لنـا
ام القمر المشرق ؟ ..

***

وكان عبد الصمد يعشق فتى من المغنين ، يقال له احمد ، فغاضبه الفتى وهجره ، فقال فيه :

سل جزعى مذ صددت عن حالى
هـل خطـر الصـبر على بالى
لا غير الله سـوء فعلك بى
ان كنت اهتبت فيـك عذالى
ولا ذممت البـكا عليـك ولا

حمدت حسن السلو من سالى
لو كنت أبغى سواك ما جهلت
نفسى ان الصدود أعفى لى

***

ومن لطيف شعره فى وصف بستان له كان هامرا بالطيبات :

اذا لم يزرنى ندمانيه
خلوت فناديت بستانيه
فنادمته خضرا مؤنقا
يهيج لى ذكر أشجانيه
يقرب مفرحة المستلذ
ويبعد همى وأحزانيه
ارئ فيه مثل مدارى الظباء
فظل لاطلائها حانيه (١)
ونور أقاح شتيت النبات
كما ابتسمت عجبا غانيه
ونرجسه مثل عين الفتاة
الى وجه عاشقها رانيه

وكان كثير الهجاء لشعراء زمانه وكان هو والجماز يتهاجيان ، فيشمت أبو قلابة الجرمى فى عبد الصمد ، ويستزيد الجماز من الهجاء ، فقال عبد الصمد يهجو ابا قلابة

يا من تركت بصخرة
صماء هامته أميمه (٢)
ان الذى عاضدته
أشبهته خلقا وشيمه
وكفعل جسدتك الحديشة

---

(١) المدارى : قرون الظباء ـ والاطلاء جمع طلا ، ولد الظبى
(٢) الاميم : المشجوج الراس .

فعـــل جـدته القـديمه
فتنـــاصرا ، فابن اللئيـ
ـمة ناصر لابن اللئيمــه

***

واجتمع ابو تمام الطائى وعبـد الصـمد فى مجلس فتلاحيا ، وكان عبد الصمد سريعا الى الشعر ، وابو تمام بطيئا اليه .

قال عبد الصمد يهجو صاحبه

أنت بين اثنتين تبرز للنـا
س ، وكلتاهما بوجه مذال (١)
لست تنفك طالبـا لوصـال
من حبيب ، أو طالبا لنوال
اى ماء لحر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال

فتأنى ابو تمام ، وخلا طويلا ، ثم قال

افى تنظم قول الزور والفند
وانت انزر من لاشىء فى العدد (٢)
أشرجت قلبك من بغضى على حرق
كأنها حركات الرمح فى الجسد (٣)

***

ولما كبر عبد الصمد تاب ، وقال فى توبته ، وهى عن عجز

هجرت الصـبا أيما هجرة
وعفت الفوانى والخمـــرة
طوتنى عن وصـلها سـكرة
بكأس الضنى أيما سـكرة

(١) المذال المهان (٢) الفند الكذب
(٣) أشرجت : شددت الحقيبة بخيط او نحوه



ابن مناذر

... وكان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل فى ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصـــــلين !..

هو محمد بن مناذر ، كان مولى سليمان القهرمانى ، وكان سليمان هذا مولى عبيد الله بن أبى بكرة ، وكان عبيد الله هذا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فابن مناذر ، اذن ، مولى لمولى لمولى !

ثم ادعى ابو بكرة انه ثقفى ، وادعى ســـليمان انه تميمى ، وادعى ابن مناذر انه من بنى صبير بن بربوع. فهو مولى دعى ، لمولى دعى ، وهـــذا نسب لم يعرف احط منه فى تاريخ العرب !

وهـــذا سر ما تراكم فى نفسه من العقد ، فكان فى اول امره ناسكا ، ثم ترك هذا وهجا الناس ، وتهتك ، وكثر تهتكه ، وان أبا الفرج الاصبـــهانى ليعجب منه كيف بدأ بالنســـك والتأله ، ثم انتهى الى مثل هـــذا القول متغزلا فى أمرد فى مسجد ، يريد أن يظفر به

الا يا قمر المسجد هل عندك تنويل ؟
شفانى منك أن نولتنى ، شتم وتقبيل
سـلا كل فؤاد وفؤادى بك مشغول
لقد حملنى حبك ما لا يحمل الفيل

وابن مناذر شاعر فصيح ، متقـــدم فى العلم باللغة

امام فيها ، اخذ عنه كثير من اللغويين ، وقد صحب الخليل بن احمد وابا عبيدة ، واخذ عنهما علوم الادب واللغة والعروض ، وله معرفة بالحديث .

ولكن يحيى بن معين حذر الناس من رواية الحديث عنه ، وقال : لا يروى عنه من فيه خير .

فقيل له وما تعرف عنه ؟

قال أعرفه ... كان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل فى ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصلين .

ولما أسرف فى تهتكه ، وعظته المعتزلة ، فلم يتعظ ، فزجروه ، فهجاهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة الى الحجاز الى آخر عمره

ويروى عنه انه لما وقع مع المعتزلة فتوعدوه ومنعوه من دخول المسجد ، هددهم بقوله ، وفيه اصرار على انتسابه كذبا الى بنى بربوع :

أبلغ لديك بنى تميم مالكا
عنى ، وعرج فى بنى بربوع (١)
انى اخ لكمو بدار مضيعة
بوم وغربان عليه وقوع
يا للقبائل من تميم ، مالكم
روبى ، ولحم اخيكمو مقطوع (٢)
واذا تحزبت القبائل صلتمو
بفتى لكل ملمة وقطيع
هبوا له ، فلقد اراه بنصركم
يأوى الى جبل اشم منيع
أن انتمو لم توتروا لأخيكمو (٣)

---

(١) مالكا : رسالة .
(٢) الروبى : الذين ارهقهم السير فثقل نومهم
(٣) توتروا : تفزعوا وتأخذوا ثاره .

حتّى يبـــاء بوتره المتبـــوع
فخذوا المفــازل بالاكف وايقنـوا
ما عشتمو بمذلة وخضـــوع
ان كنتمو حــربا على أحســابكم
سمعا ، فقد أسمعت كل سميع

***

وكان مر اللسان ، حتى لقد خشيه أبو العتاهية ، الذى سأله يوما : كيف انت فى الشعر ؟

فقال ابن مناذر اقول فى الليـلة عشرة أبيات الى خمسة عشر .

فقال أبو العتاهيــة اما انا ، فلو شئت ان أقول فى الليلة ألف بيت لقلت .

فحنق ابن مناذر ، وراجع ذاكرته فى أضعف شعر ابى العتاهية ، ثم قال له : اجل والله ، لانك تقول :

الا يا عتبــة الســاعه
اموت الســاعة الساعه

وتقول

يا عتـــب مالى ولك
يا ليتـــنى لم أرك

وانا اقول :

ستظلم بغـداد ويجلـو لنــا الدجى
بمكة ما عشنـــــا ثلاثة أبحر
اذا وردوا بطحــاء مكة اشـــرقت
بيحيى وبالفضــل بن يحيى وجعفـر
فمــــا خلقت الا لجود أكفهـــم
وارجلهم ، الا لأعواد منبـــــر

واستطرد يقول لأبى العتاهيــة : ولو اردت مثله ،

لتعذر عليك الدهر ، وانى لا أعود نفسى مثل كلامك الساقط .

فخجل أبو العتاهية وانصرف .

ومن طرائفه انه التقى بيونس النحوى ، وكان أصل يونس هذا من مكان ضئيل الشأن اسمه « جبل » . فقال له متخابثا ، وكانه يسأله فى النحو : أينصرف جبل أم لا ؟ فقال يونس : لقد عرفت ما اردت يابن الزانية !

وانصرف . ثم ذهب ابن منـاذر فى اليوم التـالى فجمع قوما ، وقال لهم ان يونس النحوى يجهل النحو، فكونوا شهودا .

وذهبوا اليه ، وكرر ابن مناذر سؤاله هل ينصرف جبل ؟ ..

وعرف يونس ما أراد ، فقال الجواب ما سمعته منى أمس ! ..

***

وكان له الى جانب كل هذا شعر حسن ، ولا سيما فى الرثاء .

ومن جميل رثائه لسفيان بن عيينة ، المحدث

يجنى من الحكمة سـفياننا
ما تشـتهى الانفس الوانا
يا واحـد الامة فى علمـه
لقيت من ذى العرش غفـرانا
راحوا بسفيـان على عرشـه
والعلم ، مكسـوين أكفانا

ومات ابن مناذر بمنفاه فى أرض الحجاز سنة ١٩٨هـ



ابودلامة

الم تعلما ان الخليفة لزني
بمسجده والقصر ... مالي وللقصر ؟
أصلي به الاولى جميعا وعصرها
فويلي من الاولى وويلي من العصر

هو أبو دلامة زند بن الجون .

وهو كوفى اسود ، وكان أبوه عبدا لأحد الصحابة من بنى أسد .

وكان أبو دلامة ماجنا ، مدمن خمر ، فاسد الدين، ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم ، مضيعا للفروض ، مجاهرا بذلك كله . ولكن الخلفاء والناس كانوا يتجاوزون له عن ذلك للطفه وظرفه

من ذلك ان ابا جعفر المنصور امر اصحابه يلبس السواد ، وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وان يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم »

فدخل عليه ابو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ ..

قال شر حال ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى ...

فضحك منه واعفاه وحده من هذا اللباس ، وسأله الا يكرر ما قال لتوه امام أحد من الناس .

ومنه انه دخل على أم سلمة المخزومية ، امراة الخليفة أبي العباس السفاح ، بعد وفاة زوجها ، فاذا هي متفجعة ، فبكى وبكت معه ، وأنشدها قصيدة في رثائه ، فقالت له : لم ار أحدا أصيب به غيرى وغيرك يا أبا دلامة .

فقال ولا سواء ، يرحمك الله ، لك منه ولد وما ولدت أنا منه .

فضحكت ، ولم تكن ضحكت قبل ذلك ، وقالت لو حدثت الشيطان لاضحكته .

ودخل أبو دلامة على المهدى يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت ام دلامة .

فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت ام دلامة على الخيزران — زوجة المهدى — فأعلمتها ان ابا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك . فلما التقى المهدى والخيزران ، عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان .

وكانت له دالة على المنصور ، والمنصور لا يرده . دخل عليه يوما فانشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدى
ثيابا جمة وقضيت دينى
فكان بنفسجي الخز فيها
وساج ناعم فأتم زينى (١)
فصدق يا فدتك النفس رؤيا
رأتها في المنام كذاك عينى

فامر المنصور له بذلك ، وقال له : لا تعد أن تحلم على ثانية ، فأجعل حلمك اضغاثا ولا أحققه .

---

(١) الساج الطيلسان

ثم خرج من عنده وشرب فى بعض الحانات فسكر ، وانصرف وهو يميل ، فلقيه العسس فأخذوه ، وقيل له من أنت وما دينك ؟
قال :

دينى على دين بنى العبـــاس
ما ختم الطـين على القرطـاس
انى اصـــطحبت اربعـــا بالـكاس
فقـــــد أدار شربهــــا براسي
فهل بما قلت لـكم من باس ؟

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه ، وســاقوه الى أبى جعفر الذى أمر بحبسه فى بيت الدجاج .

فلما أفاق ، ورأى ثيابه على هــذه الحال ، وهو فى بيت الدجاج ، سأل من الذى أمر بهذا ؟ فقيــل له أمير المؤمنين ، فـكتب له هذه الابيات

أمير المؤمنـــــين فدتك نفسى
علام حبستنى وخرقت ســاجى ؟
أمن صـــفراء صـــافيــة المزاج
كأن شـــــعاعها لهب السراج
وقـــد طبخت بنـــار الله حتى
لقد صـــارت من النطف النضاج
تهش لهـــا القلوب وتشـــتهيهـــا
اذا برزت ترقرق فى الزجــاج ؟
أقاد الى الســــجون بغير جرم
كأنى بعض عمـــــــال الخراج
ولو معهم حبست لـكان سهلا
ولـكنى حبســـت مع الدجـــاج
وقــــــد كانت تخبرنى ذنوبى
بأنى من عقـــــــابك غير ناج

على انى وان لاقيت شــــــرا
لحيرك بعــد ذاك الشـــر راج

فدعا به ، وسأله أين حبست يا أبا دلامة ؟ .. قال مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ .. قال اقوقى معهن حتى أصبحت
فضحك المنصور ، وخلى سبيله .

وكان ذكيا فى طلب الصــلات من الخلفاء ، تدل على ذلك حكايته مع أحد الخلفــاء ، اذ مثــل بين يديه ، فسأله الخليفة : سلنى حاجتك .

قال كلب أتصيد به . قال اعطوه اياه .
قال ودابة أتصيد عليها . قال أعطوه
قال وغلام يصـــــيد بالــكلب ويقوده ، قال اعطوه .

قال وجارية تصلح لنــا الصيــد وتطعمنا منه
قال : أعطوه .
قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بد لهم من دار يسكنونها قال : اعطوه دارا تجمعهم .
قال فان لم تكن ضــيعة فمن أين يعيشون ؟ .. قال : قد أعطيتك مائة جريب (١) عامرة ومائة جريب غامرة (٢)

قال قد أقطعتــك أنا يا أمير المؤمنين خمســمائة الف جريب غامرة من فيافى بنى أسد .
فضحك الخليفة ، وقال : اجعلوها كلها عامرة !
ويردد الجاحظ هذه الحكاية ، ويقول انظر الى

---

(١) الجريب شيء كالفدان .
(٢) غامرة : لا نبات فيها

حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بالكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه

***

وقد أحسن ابو دلامة استغلاله لهذه الخلة فى الخلاص من أداء فروض الدين ، دون أن يقام عليه الحد .

فقد ذهب احد الشانئين عليه الى أبى جعفر ، وقال له ان أبا دلامة عاكف على الخمر ، لا يحضر صلاة ولا يدخل مسجدا ، وقد أفسد فتيان العسكر ، فلو امرته بالصلاة معك لكان لك عند الله أجرك فيه وفى فتيان عسكرك بقطعه عنهم .

فلما دخل أبو دلامة على أبى جعفر ، قال هذا له يا ابن اللخناء ، ما هذا المجون الذى يبلغنى عنك ؟

قال يا أمير المؤمنين ، ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ؟

قال : دعنى من استكانتك وتضرعك ، واياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ، فلئن فاتتاك لاحسنن أدبك ولأطيلن حبسك .

فوقع فى الحظر ، ولزم المسجد أياما . ثم كتب قصته ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه المنصور وكان فيها :

ألم تعلمـــا ان الخليفة لزنى
بمسجده والقصر . . . مالى وللقصر؟ (١)
أصلى به الاولى جميعا وعصرها
فويلى من الاولى وويلى من العصر

---

(١) لزه الزمه .

اصليهما بالكره فى غير مسجدى
فما لى بالاولى ولا العصر من أجر
لقد كان فى قومى مساجد جمه
سواه ولكن كان قدر على قدر
يكلفنى من بعد ما شبت خطة
يحط بها عنى الثقيل من الوزر
وما ضره ، والله يغفر ذنبه
لو ان ذنوب العالمين على ظهرى

فلما قرأ المنصور هذه الابيات ضحك ، وأعفاه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلى الصلاة فى مسجد قبيلته .

***

ومن ذلك أيضا ان موسى بن داود اعتزم الحج ، وقال لأبى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم
فقال : هاتها .
فدفعت اليه ، فأخذها وهرب الى السواد ، فجعل ينفقها هناك فى شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يعثر عليه ، وخشى فوت الحج ، فخرج بدونه

فلما شارف القادسية ، اذ هو بأبى دلامة خارجا من قرية الى أخرى وهو سكران . فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى محمل بين يديه ففعلوا به ذلك . فلما سار غير بعيد ، أقبل على موسى وناداه

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا
صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب
اذا بدا لك فى أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه

من أن أكلف حجـا يابن داود
خبرت ان طريق الحج معطشة
من الشراب ، وما شربى بتصريد (١)
والله ما فى من اجر فتطلبــه
ولا البنــاء على دينى بمحمود !

فقال موسى : « القوه لعنه الله ، عن المحمل ، ودعوه ينصرف » . فألقوا به ، وعاد الى حاناته حتى نفدت العشرة آلاف درهم .

وألطف ما نختتم به الحديث عن أبى دلامة ، تلك الحكاية التى تدل على براعتــه فى الهجاء ، حين هجا زوجته أم دلامة ، لغرض فى نفسه ، وكيف كانت أم دلامة هى الاخرى أذكى منه فى انتقامها .

حجت الخيزران ، زوجة المهدى . فلما حرجت ، صاح بها ابو دلامة أيتها السيدة ، انى شيخ كبير ، واجرك فى عظيم .

فسـألته عما يريد ، فقــال تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى ، وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، وقــد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها .

فضحكت الخيزران وقالت سـوف آمر لك بما سألت .

فلما عادت من الحج ذكرها بوعدها ، وخرج معهـا الى بغداد ، واقام حتى مل ، فى انتظار الوعد .

ثم دخل على أم عبيدة ، حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران قال فيها :

---

(١) التصريد القطع

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيده
انها ارشدها الله ، وان كانت رشيده
وعدتنى قبل أن تخرج للحج وليده
فتأنيت وارسلت بعشرين قصيده
كلما اخلقن اخلقت لها اخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها اقبح من حوت طرى فى عصيده

وقرات الخيزران القصيدة وضحكت ، وبعثت اليه بواحدة من جواريها ، وعليها خير زينتها .

ولم يكن أبو دلامة فى البيت حين وصلت الجارية

وراتها أم دلامة ، فجعلت تبكى ، فدخل عليها ابنها دلامة ، فراعه بكاء أمه ، فسألها عن أمرها ؟ فقالت له ان اردت أن تبرنى يوما من الدهر فاليوم

فقال لها قولى ما شئت ، فانى افعله

قالت تدخل على الجارية فتعلمها انك مالكها ، فتحرم على أبيك ، والا ، ذهبت بعقله فجفانى وجفاك .

وفعل الفتى ما ارادت أمه .

وجاء أبو دلامة ، وكان قد علم بمجيء الجارية ، فسأل عنها ، فأشارت أم دلامة الى مكانها ، فدخل عليها ، فارتاعت اذ هو شيخ محطم ذاهب . فمد يده اليها وهم بها يقبلها ، ففزعت منه قائلة : ويلك ، تنح والا لطمتك لطمة دققت منها انفك

قال أبهذا أوصتك السيدة ؟

قالت انها بعثت بها الى فتى من حاله وهيئته

كيت وكيت ، وذكرت له ما كان بينهـا وبين الفتى ، فخرج اليه فلطمه وعنفه وحلف الا يفارقه الا عند الخليفة

وأمسك بخناقه ، وجره حتى وقف به على باب المهدى ، فلما دخل به ، سأله المهدى عن أمره فقال : لقد عمل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ، ولا ترضينى الا أن تقتله

فضحك المهدى حتى استلقى فقال أبو دلامة محنقا أأعجبك فعله فتضحك منه ؟

قال دلامة قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتى هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، يأتى أمى منذ أربعين سنة ، وما غضبت وآتى جاريته مرة واحدة ، فغضب وصنع بى ما ترى .

فضحك المهدى اكثر من ضحكه الاول ، ثم قال دعها له يا أبا دلامة ، وانا أعطيك خيرا منها .

ووهبه جارية اخرى خيرا من الاولى



ابو العيناء

ان يأخذ الله من عيني نورهمـــــــا
ففى لسانى وسمعى منهمـــــا نور

هو محمد بن القاسم ، أبو عبد الله ، المعروف بابى العينــاء ، الاخبــارى الاديب الشاعر . ولد بالاهواز سنة ١٩١ هـ . وكان أعمى .

قيل ان جده الاكبر كان يلقى على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فيسىء الخطاب اليه ، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده . فكل من عمى من ولد أبى العيناء فهو صحيح النسب فيهم .

وناقش المبرد هذه الرواية ، وقال ان أبا العيناء عمى بعد أن جاوز الاربعين وخرج من البصرة

وكان أبو العيناء من اظرف أهل الارض واوفرهم ذكاء وسرعة جواب ، وكان يعرف ذلك فى نفسه ويقول :

ان يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور
قلب ذكى وعقل غير ذى خطل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

ويقال انه أصابه حول فى عينيــه قبــل أن يعمى ، فسأله أحدهم أبهما أصلح : الحول أم العمى ؟ فقال هما السقم الذى يجر الى الموت ، أو هما الزنا وتليه القوادة !

ومن جميل غزله وهو احول ، قوله

حمـــــدت الهى اذ بلانى بحبها

علىّ حول يغنى عن النظر الشذر
نظرت اليهـــا والرقيب يظنني
نظرت اليـه فاسترحت من العـــذر

***

وله لطائف كثيرة تدل على ظرفه ، منها

● انه شكا الى عبيد الله بن سليمان تأخر أرزاقه ، فقال له : ألم نكن كتبنا لك الى ابن المدبر ، فماذا فعل فى أمرك ؟ ..

قال جرنى على شوك المطل ، وحرمنى ثمرة الوعد.

قال أنت اخترته !

قال وما على ، وقد اختار موسى سبعين رجــلا من قومه ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفة . واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا ، فلحق بالمشركين مرتدا . واختـــار على بن أبى طالب أبا موسى الاشعرى حكما ، فحكم عليه لا له ؟ ..

● واعترف بأن ابنا صغيرا لعبد الرحمن بن خاقان اخجله ذات مرة وغلبه . اذ رآه أبو العيناء ذكيا لماحا ، فقال له وددت لو أن لى ابنا مثلك

قال الطفل هذا بيدك

قال أبو العيناء كيف ؟ ..

قال : تحمل أبى الى امراتك فتلد لك ابنا مثلى .

● وكانت بينه وبين محمد بن مكرم مداعبات كثيرة : أراد ابن مكرم مرة أن يعـــرض بالبصريين ، لان أبا العيناء من البصرة ، فقال له : كم عـــدد البـــخلاء فى البصرة ؟ فأجابه بقوله كعدد أهل البغاء فى بغداد .

وقيل له : ما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ، فقال هما الخمر والميسر ، اثمهما أكبر من نفعهما !

● وقال له ابن مكرم يوما احسبك لاتصوم رمضان.

فأجابه بقوله ويلك ، وهل تدعنى امرأتك أصوم ؟ ..

● وبات ليلة عند ابن مكرم ، فجعل هذا يَفسو ، فقام ابو العيناء فصعد السرير ، فارتفع اليه فساؤه . فصعد الى السطح ، فبلغته رائحته ، فقال يا ابن الفاعلة ، ما فساؤك الا دعوة مظلوم .

● ومر ابو العيناء يوما بدار عدو له ، فسأل عن حاله ، فقيل له : كما تحب . قال : فما لى لا أسمع بكاء ولا عويلا ؟ ..

● وسرق لص حماره . فقالوا له كيف سرق حمارك يا أبا العيناء ؟ .. قال : لم اكن مع اللص فأخبركم كيف سرق !

***

وكان ابو العيناء تاركا للصلاة والصيام بل انه ليشهد على نفسه انه يستحل أن يمد يده الى ما ليس له ..

يقول مررت يوما فى درب ببلدة سر من راى ، فقال لى غلام يا مولاى ، فى الدرب حمل سمين ، والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى ، وسرت به الى منزلى . فلما كان الغد ، جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : « جعلت فداك . ضاع منا بالامس حمل ، فأخبرنى صبيان دربنا انك أنت اخذته ، فهل تامر برده متفضلا ؟ » فكتبت اليه أقول : « سبحان الله ! ما أعجب هذا الامر ! مشايخ دربنا يزعمون انك تدير بيتك للبغاء ، وأنا اكذبهم ولا أصدقهم وتصدق انت صبيان دربك انى آخذ الحمل ؟ » ...

قال أبو العيناء : فسكت الرجل ، ولم يعد الى طلب الحمل .

● ومر به سائل ، فدعاه ابو العيناء للطعام ، فأكل الرجل كل شيء ، فقال له يا هذا ... دعوتك للطعام رحمة بك ، فدع لى شيئا آكله رحمة بى ..

● ودعاه قوم يوما الى طعام ، وجاءوا بقدر تحسسها ابو العيناء ، فلم يجد بها لحما ، بل كلها عظام ، فقال : ويحكم ... أهذه قدر أم قبر ؟

● وكان يتخذ خادمين أسودين . فسئل لم اتخذهما اسودين ؟ .. فقال اما أسودان ، فلئلا اتهم بهما ، واما خادمان اثنان ، فلئلا يتهما بى !

***

وقصة خروجه من البصرة من اطرف قصص حياته. ذلك انه رأى فى السوق غلاما يباع بثلاثين دينارا ، وهو يساوى فى هيئته ثلثمائة ، فاشتراه .

وكان ابو العيناء يبنى بيتا ، فأعطى الغلام عشرين دينارا ينفقها على العمال . فأدى لهم عشرة ، واشترى بالعشرة الاخرى لباسا لنفسه . فلما سأله فى ذلك قال : ان أرباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا .

قال أبو العيناء فى نفسه ترى هل اشتريت الاصمعى ولم أدر ؟ ..

ثم أراد ابو العيناء أن يتزوج فى السر امرأة دون ان تعلم ابنة عمه ، زوجته الاولى ، فاستودع الغلام سره ، وأعطاه دينارا لحفاظ السر ، وقال له : اشتر به سمكا وكله .

فانفق الغلام الدينار ولم يشتر السمك ، فسأله ابو العيناء ، فقال الغلام : رأيت بقراط يذم السمك .

قال ابو العيناء فى سره : أترانى اشتريت جالينوس ولم أدر ؟ ..

واحب أن يؤدبه ، فضربه عشر مقارع ، فقام الغلام

الى المقرعة ، فضرب أبا العيناء سبعا ، وقال له : يا مولاي ، الادب ثلاث فقط ، ولهذا ضربتك سبعا قصاصا . فرماه أبو العيناء فشج رأسه ، فذهب الغلام الى زوجة أبي العيناء الاولى ، وروى لها قصة زواجه بالثانية ، فمنعته من دخول البيت ، حتى طلق الثانية.

وكره الغلام لا يكلمه ، واعتقه ، ولكن الغلام لم يبرح البيت ثم أراد الحج ذات يوم ، فزوده بما يلزمه ، فسار وعاد بعد عشرين يوما ، وقال ان الطريق قد قطع .

ثم اراد ان يخرج للجهاد ، فجهزه أبو العيناء ، فما أن أدار ظهره ، حتى خشي أبو العيناء أن يعود ، فباع بيته ونزح عن البصرة

***

كان أبو العيناء هجاء لم يصل الى حد الابتذال

كان يكره الوزير أحمد بن الخصيب ، وكان هذا كثير الحماقة غبيا جاهلا ، اذا ناقش وغلب على امره ركل مناقشه .

قال أبو العيناء فيه ، يشكوه للخليفة

قل للخليفة يابن عم محمد
اشكل وزيرك انه ركال
قد احجم المتظلمون مخافة
منه وقالوا : ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله
أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه
ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال

وقال يهجو أسد بن جوهر

تعس الزمان لقد اتى بعجاب
ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يدى
فيهم رددتهمو الى الكتاب
جيل من الانعام الا انهم
من بينها خلقوا بلا اذناب !

***

وفى قصائده كثير من الابيات المفردة التى تسير مسار الامثال ، كقوله :

ألم تعلمى يا عمرك الله اننى
كريم على حين الكرام قليل
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم
بطولى لهم حتى يقال طويل
ولا خير فى حسن الجسوم وطولها
اذا لم يزن طول الجسوم عقول
ولم أر كالمعروف ، اما مذاقه
فحلو ، واما وجهه فجميل

***

وقد توفى أبو العيناء فى بغداد سنة ٢٨٣ هـ ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة .



ابو نواس

الم ترنى ابحـــت اللهـــو نفسى
ودينى ، واعتكفـت على المعاصى ؟
كانى لا اعـــود الى معـــاد
ولا اخشى هنـــالك من قصـــاص

أوشـك النهـار أو أكثره أن يمضى ، وابو نواس واصحابه من أهل المجون فى رحاب الجارية الفانيـة « عنان » يشربون ويسمرون ويضـحكون ، حتى اذا قاربت الشمس المغيب ، لم يشاءوا أن يجعلوا الليـل لباسا ، بل راحوا يفكرون أين يمضون ليلتهم عاكفين على ما هم فيه من أنس وشراب وفسوق ، وكل يدعو الى بيته .

فأقسمت « عنان » عليهم الا تكون الدعوة الا شعرا ، والا ، فما لهم الا أن ينزلوا على ما تقول ..

وهكذا بدأ الحوار

قال « الرقاشى »

عـــذراء ذات احمـــرار
انى بهـــــا لا أحاشى
قوموا نـــــداماى رووا
مشـــاشـكم من مشـــاشى
وناطحونى كؤوســــــــــا
نطـــاح صـــلب الـكباش
وان نكلت ، فحـــــل
لـــــكم دمى ورياشى

وقال ابو نواس :

لا ، بل الى ثقاتى
قوموا بنا بحياتى
قوموا نلذ جميعا
بقول هاك وهات
فان أردتم فتاة
أتيتكم بفتاتى
وان أردتم غلاما
صادفتمونى مواتى
فبادروه مجونا
فى وقت كل صلاة

وقال الحسين الخليع

أنا الخليع فقوموا
الى شراب الخليع
الى شراب لذيذ
وأكل جدى رضيع
ونيل أحوى رخيم
بالخندريس صريع
فى روضة جادها صو
ن غاديات الربيع
قوموا ننال جميعا
منال ملك رفيع

وقال الوراق :

عوجوا الى بيت عمرو
الى سماع وخمر
وساقيات علينا
تطاع فى كل أمر
هلا ، وليس عليكم
أولى ولا وقت عصر

وقال محكم بن رزين

قوموا الى دار لهو
وظل بيت دفين
فيه من الورد والنر
جس والياسمين
وريح مسك زكى
وجيد المرزجون
قوموا فصيروا جميعا
الى الفتى ابن رزين

وقال الحسين الخياط

قضت عنان علينا
بأن نزور حسينا
وأن تقروا لديه
بالقصف واللهو عينا
فما رأينا كظرف الـ
ـحسين فيما رأينا
قد قرب الله منه
زينا وباعد شينا
قوموا وقولوا أجزنا
ما قد قضيت علينا

وقالت عنان

مهلا فديتك مهلا
عنان أحرى وأولى
بأن تنالوا لديها
أشهى نعيم وأحلى
فان عندى حراما
من الشراب وحلا
لا تطمعوا فى سوائى
من البرية كلا

يا ســـادتى خبـرونى
أجـــار حكمى أم لا ؟
فقالوا جميعا : أجزنا حكمك !
وقضوا الليلة عندها حتى الصبـــــاح ... وحتى الصبوح !

***

وقد أحببت أن أبدأ الحديث عن شــيخ العابثين ، أبى نواس ، بهذه الصورة التى قد تكون حدثا فى حياة شاعر من شعراء عصرنا اذا وقعت له ـ وقلما تقع ـ ولـكنها كانت صورة من الصور المـألوفة كل ليلة فى حياة شاعرنا ، أبى نواس .

واسمه الحسن بن هانىء

وكان أبوه هانىء هذا جنـديا ، ثم اعتزل واشـتغل برعى الغنم وحياكة الملابس ، تعـاونه زوجه جلبـان ، وهى امرأة حلوة من الاهواز .

وقد شهد أبوه سقوط دولة بنى أمية ، وقيام دولة بنى العباس . وقد فرحت أمه جلبان بهـذا الحدث ، لانها فارسية ، وقد أسلم العباسيون زمام الامور لأهل فارس .

واعتزل أبوه الجندية ، واشـتغل بالحيـاكة ورعى الاغنام ، واستقرت الأسرة فى البصرة .

وولد ابو نواس ســنة ١٤١ هـ فى عهـد ابى جعفر المنصور ، ثانى خلفاء بنى العباس .

ومات أبوه ، واشتغلت أمه ببعض التجارة ، وحامت حولها الشبهات انها كانت تجعل بيتها وكرا للملذات . على انها أحبت وتزوجت فى النهـاية ، وأهملت شـأن ابنهـا ، واســمه عنـد مولده الحسن ، الذى التحق بالـكتاب ، ليحفظ القرآن ويحسن القراءة والـكتابة ، ثم عمل عند رجل من العطارين ، ولـكنه كان يكثر من

التردد على مجلس العلماء والفقهاء ، ويقرمز فى الشعر

وكان الفتى جميل الطلعة ، رقيق اللون ، ابيض الجسم ناعمه ، منسدل الذوائب ، معتدل القامة ، حسن العينين والسن ، فصيحا منطيقا مليحا ، ألثغ بالراء يجعلها غينا ، وفيه حلاوة شمائل ...

***

وكان بدء التغير فى مجرى حياته حينما ذهب مع العطار الذى يعمل عنده الى الاهواز ، لعرض بضاعته على ابى بجير الاسدى ، عامل الخليفة على الاهواز وكان عنده شاعر جهير من أبناء عمومته ، وهو والبة بن الحباب ، وكان هذا مشهورا بزندقته ومجونه وانحرافه واقباله على الخمر والغلمان ، فما أن رأى الغلام الحسن ، حتى تعلقه قلبه ، وكان بينهما حديث عاجل شد كلا منهما الى صاحبه فلما آن اوالبة أن يعود الى الكوفة ، حيث يقيم ، أخذ معه الحسن وتعاشرا عشرة سيئة ، مع صحبة سوء من خلعاء الكوفة وماجنيها ، كلهم متهم فى خلقه ودينه

وهكذا قدر للحسن ، فى أول نشأته ، أن ينخرط فى هذه المدرسة من مدارس الشيطان ، وأن يكون لها عليه فضل تفتق برعمه ، وتعويده الارتجال والسبق فى المطارحات والمنادمات .

***

كان مقدم الحسن على الكوفة سنة ١٥٦ هـ ، فهو بعد صبى فى الخامسة عشرة ولكنه كان ، فضلا عن شاعريته ، وحسن روايته ، مولعا بضرب العود ، وكانت الكوفة حافلة بالقيان ، ومنهن فتاة غريرة هام بها الحسن ونظم فيها أول ما نعرف له من الغزل ، على حد رواية ابن خلكان ، قال فيها

جـــامل الهوى تعب
يســـتخفه الطـــرب
أن بكى يحـــق له
ليـــس ما به لعب
تضـــحكين لاهيـــة
والمحب ينتحـــــب
تعجبين من ســـقمى
صـــحتى هى العجب
كلمـــا انتفى ســـبب
منـــك جاءنى ســـبب

وهكذا أحرقه الشوق صبيـا ، ولا سيما بعـد أن اختفت هذه القينة الصغيرة فى زحام الحياة كما تغيب مثيلاتها ، فهـام بغيرها وغيرها ، وانخرط فى ســلك اللاهين بالحب .

ومما يرويه أستاذه والبة ، قوله كنت نائما ذات ليلة ، والحسن الى جانبى نائم ، اذ أتانى آت فى منامى، فقال الهاتف : اتدري من هذا النائم الى جانبك ؟
قلت لا ...

قال هذا اشعر منك ، واشعر من الجن والانس. اما والله لأفتنــن بشــعره الثقلــين ، ولأفرين به اهل المشرق والمغرب .
قال والبة : فعلمت انه ابليس ، فقلت له ماعندك؟
قال : عصيت ربى فى سجدة فأهلـكنى ، ولو امرنى أن أسجد لهذا ألف سجدة لسجدت .

***

وذهب الحسن بعد الـكوفة الى البادية ، فأقام فيها عاما تفتحت فيه روحه وصلحت صحته واستقام لسانه ثم عاد الى البصرة ، فاستغرب القوم عودته ، وسألوه

ارغبت عن والبة ، ام مللت الكوفة ؟ ..

فقال : ان الكوفة لأجدى وأطيب من ان تمل ، ووالبة ممن لا يرغب عنهم ، ولكننى نزعت الى الاوطان واشتقت الى الاخوان .

وراح بالبصرة يتقلب على مجالس العلم والرواية واللغة — ولا تفوته حلقة درس ، وكان أستاذه الثانى ، بعد والبة ، هو خلف الاحمر ، الذى دربه على جودة السبك وحسن النقد ، وهو الذى اختار له اسم أبى نواس .

وكان أبو نواس شعوبيا ، من أثر أمه ، فكان لايفتأ يذكر الفرس ومجدهم ، ويتغنى بأعيادهم ومواسمهم ودنان خمورهم ، ويسخر من العرب لتفاخرهم بالانساب ، قائلا

عاج الشقى على رسم بسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك ، قل لى من بنو اسد ؟
ومن تميم ؟ ومن قيس ولفهما
ليس الاعاريب عند الله من أحد !

واعانه على الزندقة ، ان الشكاك والدهريين ومروجي التعاليم اليهودية والنصرانية والمجوسية والثنوية والمانوية كانوا لا ينفكون يطوفون بالعواصم العربية ، يغرون الناشئة بالترخص فى الدين ، ويزينون لهم الزندقة والالحاد ، ولولا ان نفر لهم نفر من المتكلمين والمعتزلة لضاعت صولة الدين .

كل هذا كان له أثره فى أبى نواس ، حتى قال ، وكأنما يتخير مذهبه فى الدين :

يا ناظرا فى الدين ما الامر ؟

لا قــدر صــح ولا جبـــر
ما صح عندى من جميــع الذى
يذكر الا الموت والقبــــــــر

وهان عليه بعد ذلك أن يرتكب كل معصية ، ما دام قد تحرر من وازع الدين ، مما يلخصــه لك فى بيتين اثنين :

الم ترنى أبحت اللهــو نفسى
ودينى ، واعتكفت على المعاصى
كأنى لا اعــود الى معـــاد
ولا أخشى هنــالك من قصــاص

ولقد القى به فى سجن الزنادقة للمرة الاولى ، وهو ابن عشرين ، أو دونها ، على ان أكثر الشواهد تدلنا على ان أبا نواس لم يتزندق عن ايمان بالزندقة ، وانما اتخذ الزندقة ــ كأكثر أهــل عصره ــ ســبيلا الى التظرف .

***

واعظم قصة حب فى حياة أبى نواس ــ بعد أن شب عن الطوق ــ هى قصة حبه للجارية جنــان ، وكانت لآل عبد الوهاب الثقفى . وهى مقــدودة ، حلوة ، بديعة الحسن ، أديبة ، عاقلة ، تعرف الاخبار وتروى الاشعار ، فقال فيها أجمل شعره ، وصرح باسمها فى بعضه ، كقوله :

لمـــــا تكشفت عنى آننى كلف
كشفت أيضا لهم عمن به الــكلف
جيم وجــدت لها نونين ، بينهما
لمن تهجى اسمها أو خطــه ، ألف
يضمه من ثقيف بعض دورهمو
ما بينكم بعد ذا التبيــان مختلف

وراح يتابعها فى روحاتها وغدواتها ، ويخالسها النظر فى كل مناسبة ... حتى لقد مات يوما بعض سادتها ، فذهب يرقب من بعيد ، فلمحها سافرة تبكى وتلطم ، فقال

يا قمــــرا ابرزه مأتم
يندب شـجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعنـــــاب
لا تبك ميتا حل فى حفرة
وابك قتيـلا لك بالبـــاب

وقد ذل أبو نواس فى حب جنـان ، الى حـد أنها شكته يوما لمولاها ، فشكاه لبعض اخوانه وسبه عندهم ، ثم أشفق من لسانه ، وخشى أن يكون موضع هجائه ، فلاينه ، فأجاب أبو نواس علي هذه الملاينة بأنه ليس بمن يهجو قوما عندهم جنان :

من سـبنى من ثقيف
فاننى لن أسـبه
ابحت عرضى ثقيفـا
ولطم خـدى وضربه
وكيف ينكر هـــذا
وفيهمو لى احبـــه
لأوســـمن بحلمى
عن الحبيب وكلبـــه
ولا أكون كمـــن لم
يوسـع لمولاه قلبـه
فقـــام يدعو عليـه
ويجعـل الله حسـبه

وخرجت جنان للحج فى ركاب سيدتها ، فبلغ الوله بأبى نواس أن خرج وراءها ، لعله يحظى منها بلقاء .

وهناك ، وقف أمام الكعبة ، فأحس الزنديق برهبة الموقف ، وجلالة الله ، فراح يبكى كأشد المؤمنين ايمانا ، ويلتمس العفو والمغفرة ، فى هذه الابتهالة المنغمة

الهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
وكل من اهل لك
لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

***

والليل لما أن حلك
والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك
انت له حيث سلك
لولاك يارب هلك

***

يا مخطئا ما اغفلك
عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك
لبيك ان العز لك
والملك ، لا شريك لك
والحمد والنعمة لك

***

هل كان أبو نواس صادقا فى هذه التوبة ؟

ان ما كان من أمره بعد هذا يدلنا على أنه حينما قال تلك الابيات ، انما كان مأخوذا بموقف الرهبة بين يدى الله ، ولكن هذه الرهبة لا تلبث أن تزول حين يرى جنان ، فيتابع خطوها فى كل مكان ، حتى همت بلثم الحجر الاسود ، فزعم هو الآخر أنه يهم بلثمه ، فلصق خده بخدها فى زحام الناس ، وقد وصف لنا هذا المشهد فى أبيات جريئة يقول فيها

وعاشقين التف خداهما
عند التثام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير أن يأثما
كأنما كانا على موعد
لولا دفاع الناس اياهما
لما استفاقا آخر المسند
ظللنا ، كلانا ساتر وجهه
مما يلى جانبه باليد
نفعل فى المسجد ما لم يكن
يفعله الابرار فى المسجد

***

وعاد أبو نواس الى البصرة ، فعاد الى صبوته بجنان ، حتى بلغت به الصبوة نهاية اليأس ، فهاجر الى بغداد ، وكانت قد بلغت قمة الحضارة ، وتلونت بلون الترف الفارسى فى عهد المنصور

وكان شعراء بغداد حتى ذلك الحين لايزالون ينهجون نهج الجاهليين من الوقوف على الرسوم والبكاء على الأطلال ، فجاءهم أبو نواس بالدعوة الى الجديد ، قائلا :

لا جف دمع الذى يبكى على حجر
ولا صفا قلب من يصفو الى وتد

كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باك على نؤى ومنتضد

فلما جاءت خلافة الرشيد ، وأبو نواس فى ذروة الثلاثين ، راح الشاعر الشاب يتقرب الى البرامكة ، ويسأل نداهم ، ويذكرهم بنسبه الفارسى، حتى اجزلوا له العطاء ، فكثر ماله ، وحسن حاله .

وما أن وقعت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ، حين غدر بهم الرشيد ، حتى أصبحت الكلمة بعد الخليفة لعدو البرامكة ، الفضل بن الربيع ، الذى قرب اليه اهل الادب والعلم ، ومنهم ابو نواس ، الذى مدحه فنال منه كل خير .

***

وقدم ابو نواس الى مصر فى عهد الخصيب ، عامل العباسيين عليها ، فمدحه بكثير من قصائده ومنها

أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بى عن مدى أملى
شيئا ، فما لكما به غدر
ويحق لى اذ صرت بينكما
الا يحل بساحتى الفقر

وقد أكرم الخصيب وفادته ، وأجزل له العطاء ، كما مدح كثيرا من سراة مصر فوصلوه ، حتى اغتنى ، وقال :

يا سائلى كيف حالى
تنبيكه أشعارى
بمصر صرت غنيا
عن سائر الامصار
بها استقام طباعى
وتم خلع عذارى

وقد تهتك أبو نواس فى أسواق مصر ، وأسرف فى طلب الخمر والغلمـان ، وكان يأخذهم الى بعض أديرة الاقباط لطلب اللذة ، وفى ذلك يقول :

هات من الراح فاسقنى الراحا
أما ترى الديك كيف قد صاحا
من كف قبطيـة مزنرة
تجعلهـا للصبـوح مفتـاحا
تقول للقوم من مجـانتهـا
بالله لا تحبس الاقـداحا (١)

على ان المقام فى مصر لم يرق لأبى نواس طويلا ، اذ لم تعجبه خمرها ، ولا تحرج أهلها من التهتك ، فشد رحاله عائدا الى بغداد ، ليستأنف حياة اللهو والمجون التى ألفها وتعودها

وصادفت عودته نوبة تزمت ركبت الرشيد بعـد ان كبرت سـنه ، فحملتـه على الغضب على المـاجنـين والمتهتكين ، حتى لقـد أمر بالقاء أبى نواس فى سجن « المطبق » لجهره بالشراب

ودخل أبو نواس السجن مستسلما ...

وخرج من السجن بعد ذلك ودخـله عدة مرات مرة لسكره ، ومرة لانحرافه ، ومرة لزندقته .. الخ .

يقال انه دخـل المسـجد يوما ، والامام يقرأ الآية الـكريمة « قل يا أيها الـكافرون » ، فوقف أبو نواس يصيح : لبيك !

فهاج الناس وماجوا وضربوه وساروا به الى صاحب الزنادقة الذى امر بسجنه .

ومما يدل على استهتاره بأمور الدين ، قوله فى غلام

(١) قد يبدو الوزن نابيا فى نهاية البيت ، ولكنه صـحيح اذا جعلت الهمزة فى كلمـة (الاقداحا) همزة وصل

عمرانی مليح
تمر فاستحييك أن أتكلما
ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما
ويهتز فى ثوبيك كل عشية
قضيب من الريحان شب منعما
بحسبك انالجسم قدشفه الضنى
وان جفونى فيك قد ذرفت دما
اليس عظيما عند كل موحد
غزال مسيحى يعذب مسلما
ولولا دخول النار بعد بصيرة
عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وقد روى صاحب الشرطة انه لما حبس ابو نواس ، كان اكثر من يزوره فى حبسه من المرد والشبان والخمارين ، وأصحاب الريبة واضاف صاحب الشرطة انه عرف منهم وقتئذ من لم يكن يعرف ، فجعل عليهم الضرائب .

فلما اطلق سراح ابى نواس ، فقد صاحب الشرطة اكثر دخله منهم

على ان هذا الشاعر الماجن الذى قضى جل حياته فى العبث والفسوق والزندقة ، قد خلف لنا من نتاج اويقات زهده — وهى قليلة — ما لم يتركه أعمق المتصوفين ، كقوله :

حتى متى يا نفس تغـ
ـترين بالامل الكذوب
يا نفس توبى قبل أن
لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الر
حمن غفار الذنوب

وكقوله

يا نواسي توقــــــر
وتجمــــل وتصــــبر
ســـاءك الدهر بشيء
ربما ســــرك أكثر
يا كبــير الذنب عفو
الله من ذنبــك أكبر
اكبر الاشياء من أصفـ
ـر عفو الله أصـغر
ليس للانســـان الا
ما قضى الله ودبــــر

***

وكقوله

ايها الغــافل المقيــم على السهـ
ـو ولا عذر فى المقـام لسـاهى
ما بأعمــالنـا نطيـق خلاصــا
يوم تبدو السماء فوق الجبـاه
غير انى على الاســـاءة والتفـ
ـريط راج لحســن عفـو الاله



ابو الهيثم

عش ، فحبيـــك سريعـــا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصــــلى
وبكى العـــازل من رحمتــه
فبكانى لبـــكاء العـــاذل

هو خالد بن زيد ، واصله من خراسـان ، وسمى ابا الهيثم ، وقد عاش ببغداد ، ومات سنة ٢٦٩ هـ

وقد اشتهر فى زمانه لرقة شـعره ، وكان من كتاب الجيش ، ثم تولى العمل ببعض الثغور

وقد أصابته فى فترة من حيـاته لوثة ووسواس ، اختلفت فيها الاسباب ...

فقيل انه اذ كان ببعض الموانىء ، سمع فى الطريق مغنية تغنى بصوت شجى :

من كان ذا شجن بالشام يطلبه
ففى سوى الشام أمسى الاهل والشجن

فبكى أبو الهيثم حتى سقط مغشيـا عليه ، فأفاق مختلطا ، ووسوس !

وقيل انه كان يهوى جارية لبعض اغنياء بغداد وقد نظم فيها شعرا كثيرا ، من أرقه قوله :

عش فحبيك سريعـا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الشـوق بقلب دنف
فيك والسقم بجسم ناحل
فهمـا بعـد اكتئاب وضنى

تركاني كالقضــــيب الذابل
وبكى العــاذل من رحمتــه
فبــــكائى لبـــكاء العــــاذل

فلما لم يقدر عليها ، اختلط ، وغلبت عليه السوداء ، وهى الداء المعروف علميا باسم الميلاخوليا ، اى المزاج السوداوى الذى يخيم الحزن على صاحبه .

وقيل انه كان مغرما بالغلمـــــان ، ينفق عليهم كل ما يكسبه . فأحب غلاما يقال له عبد الله ، وكان ابو تمام الطـائى يهواه . ومن قول ابى الهيثم فى هــذا الغلام :

قضيب بان جنــــــاه ورد
تحمله وجنـــة وخـــــد
لم اثن طـــــرفى اليــه الا
مات عزاء وعاش وجـــد
ملك طــوع النفــوس حتى
علمــه الزهو حــين يبــدو
واجتمــع الصــد فيه حتى
ليــس لخلق ســواه صــد

وسمع ابو تمام هذه الابيات ، فقال
شــعرك هــذا كله مفرط
فى برده يا خــالد البــارد

وعلم ابو تمام هذا البيت للصبيان ، فكانوا يجرون وراء ابى الهيثم فى الطــرقات ويرددون « يا خــالد البارد » حتى وسوس !

وهكذا وقعت المهاجاة بينه وبين ابى تمام من أجــل هذا الغلام ، فقال فيه يتهمه بالابنة :

يا معشر المرد انى ناصح لــكمو
والمرء فى القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيبا (١) منكمو أحد
فان وجعاءه أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثة
فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ويبدو ان قصة الوسوسة ، من أجل هذا الفلام ، طالت به سنين عمره ، حتى كان فيه أكثر شعره وأطيبه ومنه قوله يعاتبه :

يا تارك الجسم بلا قلب
ان كنت اهواك فما ذنبى
يا مفردا بالحسن أفردتنى
منك بطول الشوق والحب
ان تك عينى ابصرت فتنة
فهل على قلبى من عتب
فحسبك الله لما بى كما
انك فى فعلك بى حسبى

وانه ليحبه حتى ليشفق عليه من أن يصيبه من السقم ما أصابه ويدعو الله له ، يقول :

كبد شفها غليل التصابى
بين عتب وجفوة وعذاب
كل يوم تدمى بجرح من الشو
ق ونوع مجدد من عتاب
ياسقيم الجفون أسقمت جسمى
فاشفنى كيف شئت ، لابك مابى
ان أكن مذنبا فكن حسن العفـ
ـو أو اجعل سوى الصدود عقابى

وزادت الجنة بأبى الهيثم ، حتى لقد حدثنا ابن

(١) حبيب ، هو اسم ابى تمام

ابى سلالة الشاعر قال : دخلت بغداد بعض السنين ، فبينا أنا مار فى طريق ، اذا أنا برجل عليه مبطنة وعلى رأسه قلنسوة حمراء ، وهو راكب على قصبة ، والصبيان خلفه يصيحون : « يا خالد البارد ... يا خالد البارد » ... فلم ازل اطردهم عنه حتى تفرقوا ، وادخلته بستانا هناك ، فجلس واستراح ، واشتريت له رطبا فأكل ،واستنشدته فأنشدنى :

قد حاز قلبى فصار يملكه
فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه
يخطر فى القلب منه مسلكه
يكاد يجرى من القميص من النعـ
ـمة لولا القميص يمسكه

***

ومن تلك الصورة التى يرسمها لنا ابن سلالة ... من ذلك اللباس المضحك كالبهلوانات ، ومن ركوب القصبة ، ندرك مدى ما جنى عليه حب الفلام ، وبيت أبى تمام ، حتى مات بها فى بغداد سنة ٢٦٩ هـ .



الاقيشـــر

رايتك أعمى العين والقلب ، ممسكا
وما خير أعمى العين والقلب يبخـــل
فلو صم ، تمت نعمة الله كلهـــــا
عليه ، وما فيه من الشر الفضـــــل

اسمه المغيرة بن عبـد الله الاسـدى ، ويكنى بأبى معرض . وقد غلب عليه اسم الاقيشر ، لانه كان شديد حمرة الوجه ، كأنما البس جلده مقلوبا .

وكان يكره أن ينادى بهذا الاسم

مر يوما ببنى عبس ، فى طريقه الى الحيرة ، فناداه احدهم : يا أقيشر ...

ومضى الاقيشر الى أن لقى عابر سبيل ، فقال له تعال معى ، فاذا أنشدت بيتا فقل لى : ولم ذاك ؟.. وخذ هذين الدرهمين .

فقال الرجل : بل أذهب معك بلا أجر ...

وســـارا ، حتى اذا بلغا مجلس بنى عبس ، نظر الاقيشر الى الرجل الذى ناداه منهم ، وقال :

أتدعونى الاقيشر ذلك اســـمى
وادعوك ابن مطفئـة الســـراج

فقال صاحبه كما اتفقا : ولم ذاك ؟

قال الاقيشر :

تناجى خدنهـا بالليـل ســـرا
ورب النـــاس يعلم ما تناجى

وانصرف الاقيشر وصاحبه ... وضحك بنو عبس

من صاحبهم ، وسموه طول عمره ابن مطفئة السراج .

***

من هذه الحادثة ، نلمس أن اقيشر كان ظريفا مهذارا لاذع الهجاء وكان الى جانب ذلك خليعا ماجنا يكثر من الشراب حتى لايعى ، وانه ليعترف بفسوقه فى أكثر من قصيدة ، منها :

فان أبا معرض اذ حسا
من الراح كأسا على المنبر
خطيب لبيب ابو معرض
فصار خليعا على المكبر
أحل الحرام أبو معرض
فان ليم فى الخمر لم يصبر
يجل اللئام ويلحى الكرام
وان أقصروا عنه لم يقصر

***

والاقيشر ، ولد فى الجاهلية ، ونشأ فى الاسلام ، وعمر طويلا .

ويروى ابن سلام ان الاقيشر كان عنينا لايأتى النساء ، وانه كان يغالط فى هذا فيتحدث عن فحولته بشعر قبيح لا يسمح لنا أدب القلم بذكره

ونحن نرجح رواية ابن سلام ، لاننا لم نجد فيما وقعنا عليه من شعر الاقيشر شيئا يستحق الذكر من الغزل أو التشبيب ، فجل حصيلتنا منه هجاء وزندقة وقول فى الخمر .

ومع هذا ففى سيرته انه تزوج ابنة عم له اسمها الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال عشرة آلاف ، لم يكن يملك منها شيئا ، فسأل قومه ، فلم يمدوا له يد العون ، فذهب الى ابن رأس البغل ، وهو دهقان

الصين ، وكان مجوسيا من عبدة النـــار ، فســـاله ، فأعطاه الصداق .

ومدحه الاقيشر بقصيدة لا ندرى اهى مدح أم ذم ، ولـكنها بالفة آية الطرافة قال :

كفانى المجوسى مهر الرباب
فدى للمجوسى خالى وعم
شهدت بأنك رطب المشاش (١)
وان أباك الجواد الخضـــم
وانك ســـيد أهل الجحيم
اذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور قـــارون فى قعـــرها
وفرعون والمكتنى بالحكم (٢)

فقـــــال له المجوسى ويحك ، سألت قومك فلم يعطوك ، وجئتنى فأعطيتك ، فجزيتنى هذا القول ، ولم أفلت من شعرك وشرك !

قال الاقيشر أو ما ترضى ان جعلتك مع الملوك وفوق ابى جهل ؟

***

من هذه الابيات التى قالها فى المجوس ، نستشف فى الاقيشر ــ على مجونه ــ لمحة ايمان ، فهو كمســـلم ، لا يعفى المجوسى من النار حتى ولو أعطاه عشرة آلاف درهم .

وقد عرفنا انه لا يحفل كثيرا بذكر النساء كما حفل غيره من أهل المجون ، ولا كان شعوبيـــا كأبى نواس وبشار ، وأكثر الماجنين ، بل عربيـــا يتعصب لقومه ، حتى ضد أطراف العرب

---

(١) رطب المشـــاش كريم النفس (٢) الحكم ابو جهل

خطب رجل من حضرموت امراة من بنى أسد ، قبيلة الاقيشر .

وراح الرجل يسأل عن احسابها وانسابها ، فساء الاقيشر ذلك ، فقال

حضرموت فتشت أنسابنا
والينا حضرموت تنتسب
اخوة القرد وهم اعمامه
برئت منكم الى الله العرب

★★★

وتعلقه بالخمر اذن هو مصدر مجونه ، ومستلهم شعره .

شرب الاقيشر يوما بالحيرة ، فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مفن مطرب ، فطرب الاقيشر ، فسقى أصحابه من شرابه ، فلما انتشوا توثب الاعمى فى اركان الفرفة ، وراح المقعد يرقص رقصة عرجاء

وراح الاقيشر يصف خمره الصافية وما صنعت بالقوم من المعجزات ، قال :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا
وأعمى سقيناه ثلاثا فابصرا
شرابا كريح العنبر الورد ريحه
ومسحوق هندى من المسك أذفرا
من الفتيات الفر من أرض بابل
اذا شنها الحانى من الدن كبرا
لها من زجاج الشام عنق غريبة
تألق فيها صانع وتخيرا
ذخائر فرعون التى حببت له
وكل يسمى بالعتيق مشهرا
اذا ما رآها بعد انقاء غسلها
تدور علينا صائم القوم أفطرا

وكان الاقيشر قنوعا فى طلب المال ، لا يروم منه الا ما يسد شهوة الشراب عنده ، ولا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كراء بغل الى الحيرة ، ودرهمين للشراب ودرهما للطعام .

ويروى عنه انه أتى قيس بن محمد بن الاشعث الضرير ، وهو من سراة البصرة ، فسأله العطاء ، فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال الاقيشر لا اريدها جملة ، بل ثلاثة دراهم كل يوم حتى تنفد .

وكان له ما أراد ، فلما نفدت ، أمر له بثانية ، وعلى النهج نفسه

فلما أتاه يسأل الرابعة ، قال له قيس لا أبا لك ، كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا !

فهجاه بقوله

ألم تر قيس الاكمه ابن محمد
يقول ولا تلقاه للخير يفعل
رأيتك أعمى العين والقلب ممسكا
وماخير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صم تمت نعمة الله كلها
عليه وما فيه من الشر افضل

***

على ان الطف ما نختتم به الحديث عن الاقيشر ، حكايته اذ أخرجه الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، الملقب بالقباع ، مع قومه لقتال أهل الشام . ولم تكن للاقيشر فرس ، فخرج على حمار ، حتى اذا بلغ الجيش قرية يقال لها قنين ، توارى عند خمارٌ نبطى يتجر ــ الى جانب الخمر ــ بجسد زوجته ، فباع الاقيشر الحمار ، وجعل يسكر بثمنه ــ وقيل يفجر أيضا ــ الى أن قفل الجيش !



بشار بن برد

بنو امية هبوا ، طال نومكمـــو
ان الخليفـــة يعقـــوب بن داود
ضاعت خـــلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفـــة الله بين الناى والعـــود

ان في بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهـــدم

لعلك اذا قرأت هذا البيت دون أن تعرف قائله ، تصورت ان قائله شاعر يذوب رقة حتى ليكاد يتهاوى من الشفافية والنحول .

والحقيقة أبعد ما تكون عن هذا الظن . فقائل هـذا البيت شاعر كفيف البصر ، قبيح الخلقة ، ضـخم الجثة ، سليط اللسان ، زنديق الفكر ، شـعوبى النزعة ، كاره للناس ، حاقد على الدنيا ، حتى لا نكاد نجد فيه بقية تدل على انسانيته الا انه كان شـاعرا يجعله النقاد القدامى سيد شعراء عصره .

ثم تجد فيه بعد هذا ولوعا بالنكتة اللاذعة الجارحة هذا هو بشار بن برد .

مر بشار برجل رفسته بغلة فى بطنـه فآلمتـه حتى سـقط على الارض من الالم ، وهو من ايمانه يقول : الحمد لله !

وسمعه بشـار وعرف مابه ، فقال له استزده يزدك !

ومر به قوم فى جنازة ، وهم يسرعون الخطى، فقال

ساخرا   مالهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون ان يلحقوا فيؤخذ منهم ؟

وكان يوما بين يدى المهدى ينشده شعرا ، فدخل يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى ، وكان ذا غفلة   فلما انتهى بشار ، أقبل عليه يزيد يسأله من أنت ، وما صناعتك ؟

فأجابه ساخرا   أثقب اللؤلؤ !

ولم يستطع المهدى أن يكتم الضحك من النكتة ، وان ساءه أن يسخر بشار من خاله ، فلامه على هذا ، فقال لبشار : وماذا أقول له ؟ يرى رجلا أعمى ينشد شعرا بين يدى الخليفة ، فيسأله عن صناعته !

***

ويروى داود بن رزين هذه الرواية

أتينا بشارا ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا الى الطعام   فلما أكل دعا بطست ، فكشف عن سوأته ، فبال   ثم نودى لصلاة الظهر ، ثم صلاة العصر ، ثم المغرب فلم يصل . فدنونا منه وقلنا   انت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها

قال : وما هى ؟

قلنا   دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه ...

فقال   انما أذنت لكم أن تأكلوا ، ولو لم أرد أن تأكلوا ما أذنت لكم بالدخول . ثم ماذا ؟

قلنا   ودعوت بطست ونحن حضور ، فبلت ونحن نراك !

فقال   انا مكفوف ، وأنتم بصراء ، فأنتم المأمورون بغض الابصار . ثم ماذا ؟

قلنا : وحضرنا صلاة الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، ولم تصل

فقال ان الذى يقبلها تفاريق ، يقبلها جملة !

***

وكان فارسى الارومة ، يعتز بنسبه ويفخر بقومه فى مجالسه ، وتبلغ به هذه النزعة الى حد انه كان يؤثر النار على الطين ، شأن المجوس من قومه ، ويدين بالرجعة ، ويكفر الامة كلها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، حتي انه سئل مرة عن الامام على كرم الله وجهه ، فتمثل بقول عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصحبينا

فاذا كنت قد وجدت فى شعره انه قد مدح خلفاء بنى أمية ، ثم خلفاء بنى العباس من بعدهم ، فلا نزولا عن شعوبيته ، ولا حبا فى العرب ، وانما كما مدح غيرهم من الاشراف والسراة ، ابتغاء رفدهم ، فان لم ينل منهم المال بالمديح ، ناله بالتخويف بالهجاء ، ثم بالهجاء ، مما كان يحملهم على العطاء خشية المزيد.

***

كان بشار كثير المجون ، شديد التشبث باللذات ، يسرف فيها فى غير مراعاة لحرمة الدين او حرمة العمى. وكان من فرط افساده للنساء يثير جزع اهل البصرة ، فيبعثون اليه بالوعاظ ينهونه عما هو سادر فيه ، وهو سادر لا يرتدع ، حتى ضاقوا به فشكوا امره الى المهدى ، الذى عنفه وانذره ، وفى هذا يقول بشار :

يا منظرا حسنا رأيته
من وجه جارية ، فديته
بعثت الى تسومنى
برد الشباب وقد طويته
والله رب محمد

ما ان غدرت ولا نويتـــه
أمســـــكت عنك ، وربما
عرض البـلاء وما ابتغيتـه
ان الخليفـــــــة قد أبى
واذا أبى شيئا أبيتـــــه
ومخضب رخص البنـــــا
ن بكى على وما بكيتـــه
ويشــــــوقنى بيت الحبيـ
ـب اذا اذكرت ، وأين بيته ؟
قام الخليفـــــــة دونه
فصبــرت عنه وما قليتـه
ونهــــانى الملك الهمـــا
م عن النســـاء وما عصيته
لا ، بل وفيت فلم أضـع
عهـــدا ، ولا رأيا رأيتــه

***

وقد تقف ــ وأنت تقرأ هذه الابيات ــ عند قسـمه بالله رب محمد ، وتتساءل أين اذن زندقته ؟

والجواب ؛ انه كان كاذبا فى قسمه ، كما كان كاذبا فى قوله انه استجاب لامر الخليفة ، وفى اظهار حبـه للخليفة ووصفه بأنه الملك الهمام .

كان ديدنه النفاق فى كل هذا . فقد كان بالبصرة ، على زمانه ، نفر من أهل الزندقة يجاهرون بها ، ولكنهم لاذوا بالفرار هربا من بطش الخليفة بهم أما بشار ، فكان يكتم زندقته ويتظاهر بالايمان نفاقا ونجاء بعنقه.

وليس أدل على كذبه فى مدح الخليفـة من اعترافه هو ، بعد أن مدح الخليفة بقصيدته التى مطلعها :

خليلى ان العسر ســوف يفيق

وان يســـــــارا فى غد لخليــق

فلم يجزه عليها وعيره النـــاس قائلين له انما حرمك لانه لم يستحسن شعرك . فأجاب : لقد مدحته بشعر لو قيل فى الدهر لأمن الناس صروفه ، ولـكنه كذب أملى ، لانى كذبت فى القول !

***

ونعود الى بشار فى مجونه ، فنقع على قصيدة يتمثل فيها فحشه الى أبعد مداه ، فى اللفظ والمعنى والصورة بعد الثلث الاول من القصيدة ، مع اعترافنا بأنها من جميل الشعر ، الى حد اننا نضطر فى أحد أبيـــاتها الى اهمال بعض الالفاظ مراعاة لادب القلم ، تاركين للقارىء ان يفطن اليها فى استطراده مع القافية

قــد لامنى فى خليــلتى عمــر
واللوم فى غير كنهه ضــــجر
قال : افق ، قلت : لا ، قال بلى
قد شاع فى الناس منكما الخبر
قلت واذ شاع ما اعتذارك ما
ليس لى فيــه عنــدهم عــذر
ماذا عليهم ، ومالهم خرســوا
لو أنهم فى عيــــــوبهم نظروا
أعشــق وحــدى ، ويؤخذون به
كالترك تغــزو ، فتؤخــذ الخزر
يا عجبــا للخـــلاف يا عجبــا
بفى الذى لام فى الهــوى الحجــر
حسبى وحسب الذى كلفت به
منى ومنه الحديث والنـــظر
أو قبلة فى خلال ذاك ، وما
بأس اذا . . . . !

أو عضة في ذراعها ، ولها
قوق ذراعي من عضها أثر
أو لمسة دون مرطها بيدي
والباب قد حال دونه الستر
والساق براقة مخلخلها
أو مص ريق ، وقد علا البهر
واسترخت الكف للعراك وقا
لت ايه عني ، والدمع منحدر
انهض ، فما أنت كالذي زعموا
انت وربي مفازل أشر
قد غابت اليوم عنك حاضنتي
والله لي منك فيك ينتصر

يارب خذ لي ، فقد ترى ضرعي
من فاسق جاء مابه سكر
أهوى الى معضدي فرضضه
ذو قوة ما يطاق مقتدر
ألصق بي لحية له خشنت
ذات سواد كأنها الابر
اقسم بالله لا نجوت بها
فاذهب فأنت المساور الظفر
كيف بأمي اذا رأت شفتي

أم كيف ان شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به
منك ، فماذا أقول يا عبر
قلت لها عند ذاك : يا سكني
لا بأس ، اني مجرب خبر
قولي لها : بقة لها ظفر
ان كان في البق ما له ظفر

وصاحب الذوق من قراء الشعر يصطدم بالبيت الاخير ، فيتأذى منه ، ويعجب كيف هبط بشار ، بعد تلك الصورة الحسية المستملحة عند أهل المجون، وبعد ذلك الحوار الطريف بينه وبين فتاته ، الى مستوى « البق » وكان أخلق به أن يلتمس عذرا أقرب الى الذوق واللطف

ولكن هذا هو بشار فى عثراته الذوقية التى نجد منها أكثر من شاهد . ومن ذلك قوله فى الغزل بسليمى :

انما عظم سليمى قصب
قصب السكر لا عظم الجمل
فاذا أدنيت منها بصلا
غلب المسك على ريح البصل

ومع هذا ، فبشار هو صاحب هذه الابيات الاثيرة التى يرددها كل عاشق منذ عصر بشار الى اليوم ، وكثيرا ما تغنى بها أهل الغناء القدامى والمحدثون :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم
ونفى عنى الكرى طيف ألم
رفهى يا « عبد » عنى واعلمى
اننى يا « عبد » من لحم ودم
ان فى بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهدم
واذا قلت لها جودى لنا
خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأما « عبد » هذه التى يذكرها فى القصيدة ، فهى عبدة ، التى خصها بشار ـ على فجوره ـ بأكثر غزلياته ، وكانت ـ على ما يجمع عليه الرواة ـ تميل اليه وتحب شعره وتمده بالالهام وتخصه بود كبير ،

بان كان أستاذنا الدكتور طه حسين ـ وهو يعترف بشدة كراهيته لخلق بشار وفرط نفوره من شخصيته ـ ينكر أن رجلا كبشار يستطيع أن يحب عبدة أو غير عبدة ، وانه فى صلته بها منافق ، كما هو منافق فى جميع صلاته بالحياة ، وان عبدة هى الاخرى لم تكن تحبه ، وان كانت تأنس اليه

ومع اعترافنا بأن بشارا كان فاجرا متهتكا عربيدا ، فاننا لا نستبعد أن يكون قد أحب عبدة بالفعل ، فهى فى حياته كبوة الجواد ، أحبها اذ سمعها لاول مرة وهى فى مجلسه ، ومعها غيرها من النساء ، فوقع صوتها وحديثها فى قلبه ، فدعا غلامه فقال انى قد علقت امرأة ، فاذا تكلمت فانظر من هى واعرفها .. فاذا انفض المجلس وانصرف أهله ، فاتبعها وكلمها واعلمها انى لها محب ، وأنشدها هذه الابيات ، وعرفها أنى قلتها فيها :

قالوا : بمن لا ترى تهذى ، فقلت لهم
الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية
يلقى بلقيانها روحا وريحانا
يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين أحيانا
وفض المجلس ...

وسار اليها الغلام فأبلغها الابيات ، فهشت لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه فى نفسها .

ولا شك ان عبدة كانت تعلم ما عنده من مجون ، ولكنها كانت تفد عليه محبة لشعره ، ولا سيما شعره فيها ، وحسب ...

أماهو، فلعله أحب هذه المرة لغيرالمجون، ولهذا يقول:

يا عبد حبى لك مستور
وكل حب غيـــــره زور
ان كان هجرى سركم فاهجروا
انى بما ســـرك مســـرور

ولعله صدق فى شىء لاول مرة ، فقال فى عبدة أكثر غزلياته وأجودها وأحفلها بحرارة الصـــدق ، كهذه الابيات التى بكى الوليـد بن يزيد عنـد سماعها حتى امتزجت دموعه بدمه فى الـكأس

ايها الســـاقيان صبـا شرابى
واسقيانى من ريق بيضـاء رود
ان دائى الظمـــأ ، وان دوائى
شربة من رضـــاب ثغر برود
ولها مضـــــحك كغر الاقاحى
وحديث كالوشى ، وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـ
ـب ، ونالت زيادة المســـتزيد
ثم قالت : نلقـــاك بعـــد ليـــال
والليـــالى يبلين كل جـــديد
عندها الصبر عن لقائى ، وعندى
زفرات يأكلن قلب الحـــديد

***

ومن الانصـــاف لبشـــار قبـل أن نفرغ من الحديث عنه ، انه لم يكن شـــاعرا ماجنا وحسب ، وانما له الـكثير من الشعر الجاد ، الذى يرتفع به الى مكانة سامقة بين شعراء عصره ، ولا سيما شعره السياسى. وكان بشار يزعم انه أشعر الناس ، ويقول ان لى اثنى عشر ألف قصيـدة ، فويلى اذا لم يكن فى كل

قصيدة منها بيت جيد !

أما كيف انتهت حياة بشار ، فقصة ذلك انه حمل فى قلبه الحفيظة على الخليفة المهدى حين انشده شعرا فلم يصله ، فى حين وصل غيره من الشعراء ، على ما روينا من قبل .

وبينما هو ذات يوم فى مجلس يونس بن حبيب النحوى ، تحركت الحفيظة فى قلبه ، فأراد ان يقول شعرا قبيحا ، فتساءل ، حتى يأخذ الحيطة ، ان كان فى المجلس من يسمع فيشى به عند الخليفة فقيل له لا ، فتطاول على الخليفة ببيتين قبيحين ، ذم فيهما المهدى ، ودعا على ولى عهده ، موسى الهادى ، دعوة فاجرة فيها تعريض بالخيزران ، زوجة المهدى . قال :

خليفة يزنى بعماته
يلعب بالديوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره
ودس موسى فى . . . الخيزران (١)

ثم عرج على يعقوب بن داود ، وزير المهدى ، فقال يدعو بنى أمية الى الانتفاض ، ويتهم يعقوب بأنه هو الخليفة الفعلى

بنى أمية هبوا طال نومكمو
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

وكان بشار مكروها من أهل البصرة ، علمائها وعامتها ، فسار يونس وأصحابه بالابيات الاربعة الى المهدى ويعقوب ، فثارت ثائرة المهدى ، وأمر بأن يجلد بشار سبعين جلدة بالسوط . وكان كلما أوجعه السوط

---

(١) الكلمة المنقوطة ، سواة المراة

صاح « حسسس » وهذه كلمة تدل على شدة الالم ، فقال بعض الحاضرين

انظروا اليه لا يقول بسم الله فقال بشار وهو يتأوه : ويحكم ، أهو ثريد حتى اسمى عليه ؟

***

حمل الى بيته بعد الجلد فى حال سيئة ... وسمع الناس بما وقع له ، فساروا اليه بالهدايا والعطايا ، لا حبا فيه ، ولا عطفا عليه ، ولكن استجلابا لمودته واشفاقا من لسانه بعد أن يفيق من غشيته .

على انه لم يفق ، وما لبث أن مات من أثر الضرب.

وهنا تجلت كراهية الناس له ، حتى قيل ان احدا من أهل البصرة لم يخرج الى جنازته ، الا جارية عجماء من السند كانت له ، سارت وراء نعشه تولول وا سيداه وا سيداه !



جعفر البرمكى

ولى صاحب زرته للسلام
فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا : تغيب عن داره
لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا
لادخلنى أهله للنكاح

هو من البرامكة ، واسمه أبو الحسن أحمد ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

سمى بجحظة ، لجحوظ عينيه

وكان قبيح المنظر ، قذرا ، دنىء النفس ، قليل الدين ، كريه الرائحة من كثرة الفساء ومع هذا كان حسن الادب ، كثير الرواية للأخبار ، متصرفا فى فنون من العلم ، كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر، حاضر النادرة .

وكان حسن الغناء والعزف على الطنبور ، حتى كان المعتمد يسميه « خنياكر » ... وهى كلمة فارسية معناها : المغنى .

ولد جحظة سنة ٢٢٤ ، ومات سنة ٣٢٤ هـ ، أى انه عمر مائة سنة .

وله كتب عدة ، فى مختلف الفنون ، منها كتاب « الطبيخ » ... وكتاب « السكباج » وهو لون من المرق يطهى باللحم والخل ... وكتاب « المشاهدات » وكتاب عن التنجيم ، وكتاب عن الطنبور وعزفه وعازفيه

وله بعد ذلك ديوان شعر طريف فى مختلف الاغراض، فمن أرق شعره فى الغزل :

اذا ما ظمئت الى ريقـــه
جعـلت المـدامة منه بديلا
واين المـدامة من ريقـه ؟
ولـكن أعلـل قلبـا غليـلا

ومنه :

أقول لها والصبح قد لاح ضوؤه
كما لاح ضوء البـارق المتـألق
شبيهك قد وافى ولاح افتراقنـا
فهل الك فى صوت وكأس مروق ؟ (١)
فقالت شفائى فى الذى قد ذكرته
وان كنت قد نغصتـه بالتفرق

ومن قوله فى الهجاء ، ما قاله فى صاحب له ، يصاحبه طمعا فى أدبه وظرفه وغنائه ، ولا يصله بشىء :

لى صديق مغرى بقربى وشدوى
وله عند ذاك وجه صـــفيق
قوله ـ انشدوت ـ «أحسنت، زدنى»
وبأحسنت . . . لا يبـاع الدقيق

وله أيضا فى هجاء صاحب له أخفى عنه نفسه

ولى صـــاحب زرته للســلام
فقـــابلنى بالحجـــاب الصـــراح
وقالوا : تغيـــــب عن داره
لخـــوف غريم ملح وقـــاح
ولو كان عن داره غائبـــــا
لأدخـــــلنى أهـــله للنكاح

وله فى الشكوى مما أصابه من الخمر

- (١) الصوت ، الغناء ـ والمروق الصافى

قد قلـل الادمان أكلى ، فمـا
اطعم زادا قيس ابهـــام (١)
فالحمــــد لله وشـــكرا له
قد صـــرت من بائد أقــوام
قوم ترى أولادهم بينـــــهم
للجـوع فى حلبــــة ايتــام (٢)

وله فى شـكوى الزمن ، مما يقترن بالفخر ، وقـد طعن فى السن :

أرى الايام تضـــــمن لى بخير
ولـكن بعـــــد ايام طوال
فمن ذا ضـــامن لدوام عمرى
الى دهر يغير ســـــوء حالى
هى التسعون قد عطفت قناتى
ونفرت الغوانى عن وصــــالى
وفيهـا لو عرفت الحق شـغل
عن الامر الذى أضحى اشتغالى
كأنى بالنــــــــوادب قائلات
وجسمى فوق أعنـــاق الرجال
الا سـقيا لجســمك كيف يبلى
وذكرك فى المجالس غـــير بال

ومن القصيـدة التالية نستشف ما صـار اليه من سوء الحال فى كبره حتى انه كان يبيـع كتبه ليكرم ضيفه :

الحمـــــد لله ليس لى كاتب
ولا على باب منـــزلى حاجب
ولا حمــــار اذا عزمت على

---

(١) قيس : قدر
(٢) حلبة : هيئة

ركوبه قيل جحظة راكب
ولا قميص يكون لى بدلا
مخافة من قميصى الذاهب
وأجرة البيت فهى مقرحة
اجفان عينى بالوابل الساكب
ان زارنى صاحب عزمت على
بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت فى معشر تشمتهم
فرض من الله لازب واجب

ويروى عنه الرواة انه كان خسيف الدين ، لا يصلى، ولا يصوم رمضان وقد كان صباح نهار عند بعض الوجهاء ، فلما انتصف النهار ، قام جحظة فسرق رغيفا ، ودخل المستراح ، وجلس على القعدة .

ودخل عليه مضيفه من غير قصد ، فرأى الخبز بين يديه ، فقال له : ويحك ، ما هذا يا أبا الحسن فى رمضان ؟ ..

فزعم جحظة انه اخذ الرغيف ليقطعه للخنافس التى تملأ المستراح حتى يرحمها من الجوع ! ..

وكان من سخطه على حياته ، بعد ما انخفض عيشه ، يلعن كل ما فى الحياة ومن فى الحياة ، حتى أبويه ، قائلا :

ما أنصفتنى يد الزمان ولا
أدركنى غير حرفة الادب
لا حفظ الله حيثما سلكت
أمى ، وأ ... الحمار فى است أبى (١)
ما تركا درهما أصون به
وجهى يوما عن ذلة الطلب

(١) الكلمة المنقوطة قبيحة

ومن البيت الاخير نرى انه كان يتدنى وهو كاره ، ويشعر ان الفقر مسئول عما يهدر من ماء وجهه ، وما ينزل به عن المكانة التى هو أهل لها عند الناس .

وانك لترى هذه المرارة فى حادث وقع له اذ هو فى حضرة عبد الله بن المعتز ، اذ اعتدى أحمد بن أبى العلاء على جحظة بسباب جارح ، فأمر ابن المعتز جحظة ان يخرج من المجلس حتى يهدأ احمد

وخرج مطأطىء الراس ، كاسف البال ، مهدور الكرامة ، فلم ينم الى أن كتب الى ابن المعتز يقول :

اليس من العجائب ان مثلى
يقام لأحمد بن أبى العلاء
ولى نفس أبت الا ارتفاعا
فأضحت كالسماء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس
فأبـــلاهم بأولاد الزناء

وعلى هذا الحال مات جحظة فى المائة ، لا هو راض عن الدنيا ، ولا الدنيا راضية عنه ، وفى هذا يقول :

يطول على الليـــل حتى أمله
فأجلس والنوام فى غفـلة عنى
فلا انا بالراضى من الدهر فعله
ولا الدهر يرضى بالذى ناله منى



الحسين الخليع

فمازلت أبســـطه مازحـــا
وأفرط فى اللهـــو حتى ابتسم
وحكمنى الـــــريم فى نفسه
بشىء ولـــــكنه مكتتـــم

هو الحسين بن الضحاك ، ولقب بالاشـقر ، كما لقب بالخليع لخلاعته . ولد سنة ١٦٢ ، ومات سـنة ٢٥٠ هـ

وقد نشأ – كما نشأ أكثر أهل المجون – فى ظـل الدولة العباسية ، وكان على شاكلتهم فى أكثر ماكانوا ، فارسى الاصل ، وان كان بصرى المولد والنشأة .

كان – كما يصفه أبو الفرج – شاعرا أديبـا ظريفا مطبوعا حسن التصرف فى الشـعر ، حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف

وكان أبو نواس يفعل به ما يفعله مع غيره من شعراء عصره ... يسطو على معـانيهم ، ويحسن صيـاغتها حتى يحفظها الناس بشعرد ، وينكروها على أصحابها الاصلاء .

واننا لنجد من شـعر الخليع أصداء ، لا فى شـعر ابى نواس وحده ، ولا فى شعر معاصريه وحسـب ، بل ان هذا السطو ليمتد حتى يصل الى عصرنا هذا ... انظر الى هذين البيتين من خمرياته :

اذا ما المـاء أمكننى
وصفو سـلافة العنب

صببت الفضــة البيــ
ضاء فوق قراضة الذهب

الا يذكرانك ببيت شوقى ، وان كان بيت شــوقى اوفر فى رشاقته :

حف كأســها الحبيب
فهى فضــة ذهب !

***

كان الخليــع ماجنــا ، وكان اكثر مجونه فى الهيام بالخمر والغلمان ، ولــكنه فى الحق لم يتعرض للدين كما تعرض له غيره من أهل المجون ، وأن لم يحرص عليه حرص المتقين .

على انه تميز بالوفاء لولى نعمته ، الخليفة الامين ، مما أغضب عليه المأمون عنــدما ولى الحكم ، اذ ذكر فرط مدحه للأمين ورثائه له فى أكثر من قصيدة تجاوز فيها الشاعر حدود البكاء على الامين الى ذم المأمون ، كقوله

هلا بقيت لســـــد فاقتنـــا
أبدا ، وكان لغـــيرك التلف
فلقـــد خلفت خلائفـــا ســـلفوا
ولســـــوف يعوز بعدك الخلف

وكقوله

أطـل حـزنا وابك الامام محمدا
بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الاشـياء بعـد محمد
ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المـأمون بالملك بعـده
ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

وقد بلغ من جزعه على الامين انه خولط فى عقله بعد

قتله ، فكان لا يصـــدق انه قتل ، ويقول انه مستتر وانه سيعود يوما ما ويقول فى ذلك :

سـائلونا ان كيف نحن فقلنـا
من هوى نجمـه فـكيف يكون
نحن قوم أصـابنا حدث الد
هر ، فظلنـا لريبـه نستكين
نتمنى من الامـين ايابا
لهف نفسى وأين منى الامين !

وقد بلغ المأمون بعض ذلك الشعر ، فظل قلبه مغلقا دون الخليع ، وان كان الخليع قد حاول أن يسترضيه بعد ذلك ، فلم يصب كثيرا من التوفيق .

على ان الخليع قد عمر طويلا ، حتى مات المأمون ، وأدرك خلافة المعتصم والواثق والمتوكل ، وناله منهم خير كثير ، وان كان قد أدركه منهم كذلك وصب كثير.

ومما يؤثر عنه فى أواخر أيامه انه قال

ضربنى الرشيد فى خلافته لصحبتى ولده (وكان متهتـكا) ثم ضربنى الامين لممايلة ابنـه عبد الله ، ثم ضربنى المأمون لميلى الى محمد (يعنى الهادى) ثم ضربنى المعتصم لمودة كانت بينى وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لشيء بلغه من ذهابى الى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المتوكل وامر شفيعا (غلامه) بالولع بى ، فتغـاضب المتوكل على ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان كنت تريد ان تضربنى كما ضربنى آباؤك ، فاعلم ان آخر ضرب ضربته بسببك فضـحك المتوكل وقال : بل أحسن اليك يا حسين وأصونك وأكرمك

ولمـا تجاوز الخليع الثمانين ، تقـاعد عن مجونه ، ورجع الى الله ، ومن قوله فى ذلك :

اصبحت من اسراء الله محتبسا
فى الارض نحو قضاء الله والقدر
ان الثمانين اذ وفيت عدتها
لم تبق باقية منى ولم تذر

وذكر النساء فى شعر الخليع قليل ، اذ كان اكثر شعره فى الغلمان ، ولا سيما غلام يقال له « يسر » .

ومن قليلات النساء فى حياته ، مغنية اسمها «فتن» كان يستملحها ويحب صوتها ، ولكنها كانت تجىء اليه دائما فى حراسة خادم اسمه « نجح » يحفظها ولا ينيل الخليع منها شيئا ...

ومرض هذا الخادم يوما ، فجاءت فتن مع خادم غيره ، لين العريكة ، فظفر الخليع ببغيته من فتن ، وقال فى ذلك قصيدة موفورة السحر ... قال :

لا تلمنى على « فتن »
انها كاسمها فتن
فاذا لم أهم بها
فلمن ؟ .. لا بمن اذن
اين ، لا اين ، مثلها
فى جميع الورى سكن
طيب نشر اذا لثـ
ـمت وغنج ومحتضن
وال عشرا من الصبو
ح على وجهها الحسن
وعلى لفظها المنـ
ـون للأم بالفنـن
لست انسى من الفر
يرة اذ بحت بالشجن
قولها اذ سلبتها

عن كئيب وعن عكن
ليس يرضيك يا فتى
من هوى دون أن تهن
فامتزجنا معا مما
زجة الروح للبدن
وكفينا من أن نرا
قب « نجحا » اذا فطن
وأمناه أن ينم
وما كان مؤتمن
كل ما كان من حبيـ
ـبك مستظرف حسن

***

ومن أيامه المشهورة فى تاريخ مجونه ، يومه اذ نزل على الحسن بن سهل ، ومد الشراب ، فظلا يشربان ؛ وساقيهما غلام مليح لم تهبط عنه عينا الخليع

فلما أدرك الحسن ذلك ، أومأ الي الغلام فاختفى ساعة ثم عاد ، فسأل الخليع فى شوق اين كان ؟.. قال سرا كنت فى الحمام ، والحسن هو الذى حبسنى عنك فقال الخليع لفوره

وا بأبى ابيض فى صفرة
كأنه تبر على فضه
جرده الحمام عن درة
تلوح فيها عكن بضه
غصن تبدى يتثنى على
مأكمة مثقلة النهضه (١)
كأنما الريش على خده
طل على تفاحة غضه
صفاته فاتنة كلها

---

(١) المأكمة العجيزة

فبعضه يذكرني بعضه
يا ليته زودني قبلة
أو لا فمن وجنته عضه

فقال له الحسن قد عمل فيك النبيذ ؟
قال الخليع لا وحياتك !
قال هذا شر من ذلك !

ومضى الخليع يرتجل قصيدة اخرى ويوغل فى التشبيب والاغراء ، فتغاضب الغلام عن دل، وانصرف، ثم عاد بعد قليل ، وناوله قدحا وقال له اشرب ودع الهذيان .

وقام الحسن لبعض شأنه واقبل الغلام على الخليع فأعطاه بعض النقل ، فقال الخليع اجعل بدله قبلة فجعل الغلام يؤمله ولا يعطيه ، ويقترب منه وينسحب ، الى أن كانت لحظة سانحة اختطف فيها الحسين قبلة ، فتغاضب الغلام وقال هذه حرام عليك هذا فى حين كان خادم آخر يقال له فرج يهون عليه الامر قال الخليع

وبديع الدل قصرى الفنج
مره العين كحيل بالدعج (١)
سمته شيئا وأصفيت له
بعد ما صرف كأسا ومزج
واستخفته على نشوته
نبرات من خفيف وهزج
فتأبى وتثنى خجلا
وذرا الدمع فنونا ونشج
لج فى «لولا» وفى «سوف ترى»
وكذا كفكف عنى وخلج (٢)

---

(١) مره خلا من الكحل (٢) كفكف اعرض

ذهب الليـــل وما نولنى
دون ان اســفر صــبح وانبلج
هون الامر عليـــــه فرج
بتأنيه ، فســـــقيا لفرج
خمــر النكهة لا من قهوة
ارج الاصــداغ بالمسك ارج
وبنفسي نفس من قال ، وقد
كان ما كان حرام وحرج

فلما نام القوم ، وطلع الصبح ، قال الحسن لضيفه كيف كانت ليلتك ؟

قال الخليع :

تألفت طيــف غزال الحرم
فواصلنى بعــد ما قد صرم
وما زلت أقنع من نيــله
بما تجتنيه بنـــان الحلم
بنفسى خيـال على رقبـة
ألم به الشوق فيما زعم
أتانى يجاذب أردافـــــه
من البهر تحت كسوف الظلم
تمج ســـوالفه مســـكة
وعنبرة ريقه والنســـم
تضمخ من بعـــد تجميره
فطاب من القرن حتى القدم (١)
يقول ونازعتـــــه ثوبه
على أن يقـــول لشىء نعم
ففض الجفــون على نجــله
واعرض اعراضـــة المحتشم

(١) التجمير التبخير

فشبكت كفى على كفه
واصفيت الثم درا بفم
فنهنهنى ، دفع لا مؤيس
بجد ولا مطمع معتزم
اذا ما همست فادنيته
تثنى وقال لى الويل ، لم ؟
فما زلت ابسطه مازحا
وافرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفسه
بشيء ولكنه مكتتم
فواها لذلك من طارق
على ان ما كان ابقى سقم

فقال الحسن : يا فاسق ، أظن ما ادعيته على الطيف فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفسه ، واصلح الاشياء لنا بعد ما جرى ان ندحض العار عن انفسنا بهبة الغلام لك ، فخذه ، لا بورك لك فيه !

فاخذه الخليع وانصرف .

***

اما حكاياته مع غلامه الاثير « يسر » الذى قال فيه اجمل شعره ، فكثيرة ويسر هذا ، خادم لابن هارون الرشيد ...

منها انه التقى بيسر عند بعض أصحابهما ذات يوم على مائدة شراب ، وكان هذا فى العشر الاواخر من شعبان ، فقال حسين ليسر : ياسيدى ، قد هجم الصوم علينا فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ، واقسم على الوفاء .

وفى اليوم التالى كتب اليه يسأله الوفاء بقسمه ، فانكره ، فقال الخليع :

تجاسرت على الغدر
كعاداتك فى الهجر
فاخلفت وما استخلفـ
ـت من اخوانك الزهر
وما اقنعنى فعـ
ـلك يا مختلق العذر
بنفسى أنت ان سؤت
فلا بد من الصبر
ولولا فرقى منك
لسميتك فى الشعر
اما تخرج من اخـ
ـلاف ميعادك فى العشر
غدا يفطمنا الصوم
عن الراح الى الفطر

قال الخليع : فلما قرأ الابيات أجاب احسن جواب وفعل أجمل فعل ، وكان اجتماعنا قبل الصوم فى بستان مولاه ، وتممنا سرورنا وقضينا أوطارنا الى الليل

***

وقد حسنت سيرة الخليع لما بلغ به الكبر عتيا ، حتى لقد بعث اليه المتوكل لكى ينادمه ويلازمه ، فلم يطق ذلك ، فقال الوشاة للمتوكل انه يطيق الذهاب الى القرى والمواخير ، ويأبى أن يكون فى خدمة أميرالمؤمنين.
فلما عرف الخليع ذلك ، بعث الى المتوكل بهذه الابيات يعتذر بها ، اذ أوشك أن يبلغ التسعين ، فلا قبل له بمنادمة ولا بشراب

اما فى ثمانين وفيتها
عذير وان أنا لم أعتذر

فكيف وقد جزتها صاعدا
مع الصاعدين بتسع اخر
وقد رفع الله اقلامه
عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة
والحد فى دينه أو كفر
وانى لمن اسراء الاله
فى الارض نصب صروف القدر
فان يقض لى عملا صالحا
أثاب ، وان يقض شرا ، غفر
فلا تلح فى كبر هدنى
فلا ذنب لى ان بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب
فأعقبنى خورا من أشر
وقد بسط الله لى عذره
فمن ذا يلوم اذا ما عذر
وانى لفى كنف مغدق
وعز بنصر ابى المنتصر
يبارى الرياح بفضل السما
ح حتى تبلد أو تنحسر
له اكد الوحى ميراثه
ومن ذا يخالف وحى السور
وما للحسود واشياعه
ومن كذب الحق الا الحجر ؟

وقرا المتوكل الابيات ، فقر بها ، وارسل اليه عشرين الف درهم



حماد عجرد

لك جار بالمصر لم يجعـــل الله
له منك حـــرمة الجيـــران
انما معدن الزناة من السفـــ
ـلة في بيته ومـــاوى الزوانى

هو شـــاعر مجيـد من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية ، وان كان قد اشتهر فى الثانية

نادم الوليد بن يزيد الاموى ، ثم جاء الى بغداد فى أيام المهدى .

قال على بن الجعد قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء حمـاد عجرد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا ، فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة

وقال الجرجانى كان بالـكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحمـاد الراوية ، وحمـاد ابن الزبرقان يتنادمون على الشراب ، ويتناشـدون الاشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا وكأنهم نفس واحدة ، يرمون جميعـا بالزندقة ، وأشـهرهم حماد عجرد .

***

كان حماد عجرد من هؤلاء الزنادقة الذين شـجعهم انحلال الخليفة الاموى ، الوليد بن يزيد ، على المجاهرة بالمعصية ، والاسراف فى طلب اللذة بغير حرج فى الكوفة والبصرة وغيرهما .

وكانوا يجتمعون فى بيوتهم ، أو فى الحـــدائق او الحانات أو الاديرة ، ولا يجتمعون الا على شراب وغناء وعبث بالنساء والغلمان .

وكانت بين حماد وبشار بن برد مهاجاة متصلة ، وكانا ندين فى النزوع الى الشر وفى سلاطة اللسان ، فكان كل منهما يغرى بالآخر عند ذوى السلطان ، ويرميه بالزندقة دون أن يكون هو نفسه بريئا منها .

وتهاجيهما يصلح لان يكون كتابا بذاته ، ولكننا نجتزىء منه بما يلقى ضوءا على هذه المعركة التى تعد من اسوأ المعارك فى تاريخ الادب .

قال حماد ، يغرى الامير عيسى بن عمرو ببشار

قل لعيسى الامير عيسى بن عمرو
ذى المساعى العظام فى قحطان
والبناء العالى الذى طال حتى
قصرت دونه يدا كل بان
بابن عمرو ، عمرو المكارم والتقـ
ـوى وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الله
له منك حرمة الجيران
لا يصلى ولا يصوم ولا يقـ
ـرأ حرفا من محكم القرآن
انما معدن الزناة من السفـ
ـلة فى بيته ومأوى الزوانى
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبـ
ـعين فماذا يهوى من الصبيان
طهر المصر منه يا ايها المو
لى المسمى بالعدل والاحسان
وتقرب بذاك فيه الى الله
تفز منه فوز أهل الجنان

ثم يوجه الخطاب لبشار بن برد فيقول :

يابن برد ، اخسأ اليك فمثل الـ
ـكلب فى الناس انت لا الانسان
ولعمـــرى لأنت شر من الـكلـ
ـب واولى منـــــه بكل هوان

وأراد بشار أن يرد الصفعة بمثلها ، فأشاع ان حمادا كان ينشد يوما شعرا ، والي جانبه قارىء يتلو القرآن ، والناس مجتمعون حول القارىء فصاح حماد فى الناس علام تجتمعون ؟ ان الذى أنشده لخير مما ينشده !

ثم نظم ـ اى بشار ـ هـذه الابيات يهجوه ويرميه بالشرك :

ابن نهبى ، راس على ثقيل
واحتمال الرءوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبادة الاثنين
فانى بواحـــــد مشــــغول
يابن نهبى ، برئت منك الى الله
جهـــارا ، وذاك منى قليــل

فلما شاعت الابيات ، أمعن حماد فى اشاعتها بعد أن عدل عبارة « فانى بواحد مشغول » فجعلها « فانى عن واحد مشغول » مما يثبت عليه الزندقة فلما سمع بشار ذلك ارتعد وجزع ، لانه ـ برغم زندقته ـ كان يستسرها ويخشى أن يعرفها ولاة الامور

وقد عرفت عنه فى النهاية ، وقتل بامر المهدى

ومن مقذع هجائه فى بشار ، قوله :

واعمى يشــــبه القرد
اذا ما عمـى القـرد

وقال الرواة ان بشارا بكى حينما سمع هذا البيت ، فقيل له : لم تبكى ؟ فقال : يرانى فيصفنى ، وانا لا أراه حتى اصفه .

ولم يقصر حماد هجاءه على بشار وحده ، بل تجاوزه الى الكثيرين ، ومنهم مطيع بن اياس ، وابو حنيفة ، ويحيى بن زياد ، وغيرهم . وكانوا جميعا يخشون لسانه ويترضونه . ولم يكن يرعى فى ذلك حرمة صداقة قديمة ، فقد كان صديقا لمطيع ويحيى ابن زياد ، وكثيرا ما مدحهما ونال منهما خيرا ، ولكنه لم يتورع عن شتمهما فيما بعد

وقال حماد ، يهجو بكر بن محمد المازنى النحوى ، وهذه اقبح أهاجيه ، لانها قيلت فى رجل من ائمة اللغة ، تتلمذ عليه المبرد ، وقال عنه انه كان بعد سيبويه اعلم الناس بالنحو

كادنى المازنى عند ابى العبا
س ، والفضل ما علمت كريم
يا شبيه النساء فى كل فن
أن كيد النساء كيد عظيم
جمع المازنى خمس خصال
ليس يقوى بحملهن حليم (١)
هو بالشعر والعروض وبالنحـ
ـو وغمز . طب عليم (٢)
ليس ذنبى اليك يا بكر الا
أن . عليك ليس يقوم (٣)
وكفانى ما قال يوسف فى ذا
ان ربى بكيدهن عليم ! ..

***

وله — الى جانب أهاجيه — شعر جميل ، فله فى المدح

(١) قال خمس خصال ولم يذكر الخامسة فى القصيدة
(٢) الكلمة المنقوطة قبيحة ، وهى جمع
(٣) هى نفس الكلمة القبيحة ، بالمفرد

هذا القول السائغ :

أرجوك بعد أبى العباس اذ بانا
يا اكرم الناس اعراقا وعيدانا
فأنت أكرم من يمشى على قدم
وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مج عود على قوم عصارته
لمج عودك فينا المسك والبانا

وله فى العتاب

فأقسمت لو اصبحت فى قبضة الهوى
لاقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى
ولكن بلائى منك أنك ناصح
وانك لا تدرى بأنك لا تدرى

وله فى الغزل

انى احبك فاعلمى
ان لم تكونى تعلمينا
حبا أقل قليله
كجميع حب العالمينا

***

اما نهايته ، فاختلف فيها الرواة ، فقيل ان مولى من موالى محمد بن سليمان قتله ، لانه كان يكتب الغزل فى أخته زينب ، لا لحسابه ، بل لحساب محمد ابن ابى العباس السفاح ، الذى كان يحب زينب ، ولا يحسن الشعر ، فأراد أن يستميلها بشعر حماد ، وكان ينسبه الى نفسه .

وفى رواية أخرى انه أصابته علة طالت عليه ، وأشيع انه مات ، ووصل نعيه لبشار ، فقال

لو عاش حماد لهونا به
لكنه صار الى النار !

فلما سمع حماد هذا البيت ، قال :

نبئت بشارا نعاني وللشعر
براني الخالق الباري
يا ليتني مت ولم أهجه
نعم ولو صرت الى النار
وأي خزي هو اخزى من ان
يقال لي يا ساب بشار

***

ثم مات حماد ، سنة ١٦١ هـ بالبصرة وقتل بعده بشار ، ودفنا في مكان واحد ، ومر على هذا المكان شاعر بصري يقال له أبو هشام الباهلي ، فقال

قد تبع الاعمى قفا عجرد
فاصبحا جارين في دار
قالت بقاع الارض لا مرحبا
بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تجافيهما
ما ابغض الجار الى الجار
صارا جميعا في يدي مالك
في النار ، والكافر في النار



الزوزني البحّاث

ليت شـــعرى ، اذا خرجت من
الدنيا فاصبحت ســاكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعـــد موتى
رحم الله ذلك البحـــاثى ؟

هو محمد بن اسحق الزوزنى البحاثى القاضى
كان من اهل العلم ، سنيا متعصبا لاهل السنة ، وله أشعار ومصنفات كثيرة جعلته فى قمة عصره علما وادبا وظرفا وخفة ظل .
وكان الناس يحترمونه مرتين ، مرة لعلمه وفضله ، واخرى لانه كان هجاء ، وكانت له طريقة من الهجاء فى النظم والنثر لم يسبق اليها ، فكان الجميع يخشون مرارة لسانه .
ومع هذا فانه لم يترك أحدا من الكبراء والائمة والفقهاء وسائر الناس فى عصره الا هجاه مر الهجاء
قال عبد الغافر وكان صديقا لوالدى ، يبيت عنده فى بعض الاحيان ، ويقترح عليه ما يشتهى من الوان الطعـــام . وكان والدى يحكى عنه أحواله وتهتكه واشتغاله فى جميع الاحوال بما لا يليق بالعلمـــاء الافاضل ولكنه كان يحتمله اتقاء للسانه
ويمضى عبد الغافر فيقول :
ومما رواه لى والدى عنه انه قال :« ما وقع بصرى قط على شخص الا تصور فى قلبى هجاؤه قبل أن أكلمه واجربه أو أخبر أحواله » . وحكى لى بعض من أثق

به انه قال « لم يفلت احد من هجائى الا القاضى الامام صاعد بن محمد ، رحمه الله . فانى كنت قد صورت فى نفسى ان اهجوه ، فحيث تأملت فى حسن عبادته وكمال فضله ومرضى سيرته ، استحييت من الله تعالى، وتركت ما أجلته فى فكرى »

وروى ياقوت عنه فى معجمه ، انه كان يضع التصانيف عن الاكابر والعلماء ، فيرميهم فيها بما براهم الله منه ، وانه أظهر النسك بين الناس ، ولكنه بالغ فى الافحاش واغرب فى فنون الهجاء ، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعانى الصحيحة من حيث الصنعة ، وان كانت عن آخرها أوزارا وآثاما وكذبا وبهتانا .

وقد اتفق أهل عصره على انه أهجى أهل العصر من الفضلاء ، وأفتقهم شتما قبيحا وتعريضا وتصريحا

وكان يسكن باعذرا ، وهى قرية من أعمال الموصل، ويخص جماعة سكانها من الائمة بالهجاء ، وله معهم ثارات ومشاغبات يطول شرحها .

من ذلك هجاؤه لرجل اسمه « يوسف » قلب اسمه فسماه « فسوى » وقال فيه :

فسوى وضرطى والخرا مائعا
على الذى مقلوبه فسوى
من خلقه أقبح من خلقه
وجحره أوسع من دلوى

وقال يهجو صاحب دعوة

سألونا عن قراه
فاختصرنا فى الجواب
كان فيه كل شيء
باردا الا الشراب

وله فى هجاء احد أصحابه المحدثين

الا ان هــــذا البيهقى محدث
مسيلمة الـكذاب فى جنبــه ملك
ففى وجهه قبح وفى قلبه عمى
وفى نطقه كذب وفى دينه حلك
لو ابن معين كان حيــا لجاءه
وبالسلح، سلح الكلب، لحيته دلك (١)
فلا تعجبا أن مد فى عمر مثله
ويهلك أهل الفضــل اذ خرف الفلك

وكان يتعرض بالهجاء كثيرا لرجل من افاضل قومه ، اسمه البارع الزوزنى ، ويقلب اسمه فيسميه بالباعر ، ويدعي انه افترسه ظبيا غريرا ، وافترشه بدرا منيرا ، قال : « فلما التحى أنكرت صحبته ، ونبذت وراء ظهرى مودته » وقال فيه

كان البويعر بــدرا فى حــداثتــه
ما كان أحســنه بــدرا وابهــاه
والطيب أجمع فيها تحت مئزره
والسحر ما بثه فى الناس عينــاه
ربيتــه وهو فى حجرى الاعبــه
نهــاره ، وفــراشي كان مأواه
أفيده من جنايا العلم أحســنها
وأستفيــد لذيذا من جنى فاه
حتى اذا ما عشا جلد آسته وغدا
مشعرا ودجــا واســود قطــراه
وصــار كلبــا وخنــزيرا وزوبعه

(١) ابن معين ، رجل اشتهر بالكذب وقال عنه الامام احمد بن حنبل انه اكذب الكذابين .

وغول قفر يميت الانس لقياه
انشا يمزق عرضى منكرا أدبى
وليس يحسن الا ما أفسدناه
ان كان ينكر ما قدمت من ادبى
فليس ينكر . شم مفساه (١)
لو لم تغير صروف الدهر صورته
لكان مغفورة عندى خطاياه

وان أنكرنا منه هذه الكلمة المنقوطة وغيرها فى هذه الابيات ، فينبغى لنا أن ننكر الكثير من شعره وهو حافل بألفاظ الجنس الصريحة ، ومن شهادته على نفسه بأنه كان يمارس عميرة ، قائلا :

يـ . . غزلان الحسان ولا ارى
غزالا من الغزلان فردا بساحتى
فمن يك قد لاقى من راحة
ففى راحتى أنسى ورفقى وراحتى (٢)

وشهادته على نفسه باتيان الغلمان ، فى مثل قوله

ولما رأيت الفقر ضربة لازب
ولم يك لى فى الكف عقد على نقد
ولا لى غلام قد . . ولم يكن
سبيل الى الترك المكحلة المرد
شريت قبيحا من بنى الهند أسودا
و . . . الهنود السود خير من الجلد (٣)

ومن خبيث شعره فى هذا المجرى قوله :

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سواة الرجل
(٢) الكلمتان المنقوطتان فى هذين البيتين . هما الكلمة الصريحة وفعلها بالجمع فى البيت الأول ، وفى البيت الثانى المصدر
(٣) الكلمتان المنقوطتان فى البيتين الثانى والثالث ، هما الكلمة الصريحة فى الجنس ـ الجلد جلد عميرة

الحمـــــد لله وشـــكرا عـــــلى
انعامه الشـــــــامل فى كل شى
ان الذى لاعبنى فى الصبــــــــا
مات ، ومن قد . . بعد حى (١)

وهو فى البيت الثانى يعترف بأنه كان هو نفسه وهو صغير موضعا لعبث الـكبار .

وقد بلغ حب الهجاء بالزوزنى الى حد انه هجا لحيته الطويلة ... قال :

يا لحيـــة قـــد علقت فى عارضى
لا أســـتطيـــع لقبحهـــا تشبيهـــا
طالت ولم تفلح ولم تك لحية
لتطول الا والحمــــاقة فيهــــا
انى لأظهر للبرية حبهـــــــــــا
والله يعلم اننى أقليهـــــــــــا

وكان فى تشبيبه بالفلمـــان كثيرا ما يكرر الصـــورة نفسها فى أكثر من قصيدة

من ذلك قوله :

بأبى من عنـــــد لثمى
زاد فى عشقى بشتمه
ومضى يبـــكى ويمحو
أثر اللثـــم بكمـــــه

ثم قوله بعد ذلك :

بليت بطفـــل قـــل طـــائل نفعـــه
سوى قبل يزرى بها طول منعه
ويمسحها من عارضــــــيه بكمه
ويغســـــلها من وجنتيـــــه بدمعه

(١) الكلمة المنقوطة هى نفس الكلمة الصريحة ، فعلا ماضيا .

يكاشفني ان لاح شخص بعينه
ويفتابني ان مر ذكرى بسمعه

وكان حاذقا فى معاملة الناس ، ويعترف بأنه يماريهم من اجل الرزق ، قائلا

انى لمرزوق من الناس اذ
اصبحت من أحذق حذاقهم
ما ذاك من فضل ، ولكننى
اخالق الناس بأخلاقهم

ويقول ياقوت ان للزوزنى شعرا من الطبقة العليا ، وله قصائد غر ، ومقطعات فى الغزل مأثورة وكان ينسخ كتب الادب أحسن النسخ ، ومنها كتاب يتيمة الدهر فى خمس مجلدات وكتاب « غريب الحديث » لأبى سليمان الخطابى ، وغيرهما من أمهات الكتب

وهو اول من شرح ديوان البحترى شرحا فريدا
وكان الزوزنى ، اذ دنت منيته ، يخشى قول الناس فيه بعد وفاته ، ويقول :

ليت شعرى ، اذا خرجت من الد
نيا فأصبحت ساكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعد موتى
رحم الله ذلك البحاثى ؟ ..

***

فلما مات بكاه الناس ، ورثاه أبو سعد بن دوست قائلا

يا أبا جعفر بن اسحق انى
خانني فيك نازل الاحداث
من هوى من مصاعد العز قسرا
بك تحت الرجام فى الاحداث

فلك اليـوم من قواف حسـان
سرن فى المدح سيرها فى المراثى
مع كتب جمعـن فى كل فن
حين يـروين الف باك وراث
قائل كلهـا بغير لسـان
رحم الله ذلك البحـاثى
وكانت وفاته بغزنة ، سنة ٤٦٣ هـ .



العبرتائ

وزير لا يفيق من الرقـــــاعة
يولى ثم يعزل بعد ســــــاعة
اذا أهل الرشـــــا صاروا اليه
لأحظى القوم أوفرهم بضـــــاعه

هو على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، أبو الحسن العبرتائى ، نسبة الى بلدة « عبرتا »

كان حسن البديهة ، شاعرا ماضيا أديبا لا يسلم من لسانه أحد ، حتى لقد هجا كل من أحسن اليه ، ولم يسلم من هجوه أبوه نفسه

وشر من ذلك ، انه كان يصنع الشعر فى النيل من الرؤساء ، وينسبه الى ابن الرومى وغيره من معاصريه.

من ذلك قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير ، وقد مات ابنه أبو محمد :

قـل لأبى القاســم المرجى
قابلك الــــدهر بالعجائب
مات لك ابن ، وكان زينا
وعاش ذو الشـين والمعايب
حيـاة هـــذا كفقد هـــذا
فلست تخلو من المصـائب

قال هذه الابيات ، ونسبها الى ابن الرومى . فلما بلغت عبيـد الله ساءته ، فدعا العبرتائى وقال له يا على ، كيف قلت .. ؟

فأدرك انه مغضب ، فقال قلت أيها الوزير

قــل لأبى القاســم المرجى
لن يدفع الموت كف غالب
لئن تــولى بمن تــولى
وفقــده اعظم المصــائب
لقــد تخطت لك المنــايا
عن حــامل عنــك للنوائب

ويعنى ولده الآخر ابا الحسين ، فسكت عبيد الله ، وغفر له .

ومن مر هجائه ، قوله فى الوزير الخاقانى

وزير لا يفيق من الرقاعه
يولى ثم يعزل بعد ساعه
اذا اهل الرشا صاروا اليه
فاحظى القوم اوفرهم بضاعه
فلا رخما تقرب منه خلقا
سوى الورق الفحاح ولا شفاعه
وليس بمنكر ذا الفعل منه
لأن الشيخ افلت من مجاعه

وكان مع فصاحته وبيانه ، لا حظ له من التطويل ، فجل قصائده مقطعات قصار .

وكانت له الى جانب الشعر تصانيف جليلة ، ابرزها كتاب « أخبار عمر بن أبى ربيعة » وكتاب المعاقرين ، وكتاب ديوان رسائله ، وكتاب مناقضــات الشعراء ، وكتاب أخبار الاحوص .

***

وكان كثير الاســاءة للمحســنين له ، كما أسلفنــا القول .

من ذلك ما رواه ابن حمدون النديم ، قال

كان المعتضد قد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها ، وانفق على الابنية بها ستين الف دينار .

وكان يخلو فيهــا مع جواريه ، وفيهن جارية اثيرة يقال لها دريرة ، فقال العبرتائى

ترك النـــــاس بحيره
وتخلى فى البحـــيره
قاعد يضرب بالـ ...
على . . دريره (١)

وبلغ البيتان المعتضد ، فلم يظهر لأحد انه سمعهما ؛ وامر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والابنية

قال ابن حمدون فكنت الاعب المعتضـد بالشطرنج ذات يوم ، اذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله ، وهو وزيره ؛ فاستــأمره فى شيء وانصرف فلمـا ولى ، انشد المعتضد قول العبرتائى فى القاسم

حياة هــذا كموت هذا
فلست تخلو من المصــائب

وجعل يكرر البيت وهو يلعب ، حتى عاد القاسم والمعتضد غير منتبه اليه ، يلعب ويردد البيت

قال ابن حمدون فاحتلت حتى اعلمته بحضوره فرفع رأسه اليه واستحيا منه ، ثم قال له يا ابا الحسين ، لم لا تقطع لسان هــذا الماجن وتدفع شره عنك ؟ ..

فانصرف القاسم مبــادرا الى مجلســه ، فطلب العبرتائى ...

قال ابن حمدون فدهشت وارتعشت يدى فى اللعب خوفا مما يلحق بالعبرتائى ، للقرابة التى بينى وبينه فقال المعتضد : مالك ؟ قلت

يا أمير المؤمنين ، القاسم لا يصطلى بناره ، وكأنى به وقد قطع لسان العبرتائى حنقــا عليه ، وهو احـد

(١) الكلمتان المنقوطتان هما سوأتا الرجل والمراة

النبلاء الشعراء ، فيكون ذلك سبة على امير المؤمنين .

فأمر المعتضد باحضار القاسم ، وسأله عما فعله فى امر العبرتائى ، فقال : لقد أمرت باحضـــاره لاقطع لسانه . قال المعتضد انما أمرناك أن تقطع لســـانه بالبر والصلة والتكرمة ، ليعدل عن هجائك الى مدحك.

قال يا امير المؤمنين ، لو عرفتــه حق المعرفة ، وعلمت ما قاله فيك وفى البحيرة ودريرة ، لاجزت قطع راسه .

فتبسم المعتضد وقال انما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك . فتقدم أنت باحضاره ، واخرج له ثلثمائة دينار، فان ذلك اولى واحسن من غيره

قال ابن حمدون فأحضره القاسم وخلع عليه ، وولاه بريد الصميمرة وما والاها ، فبقى فى عمـله الى آخر ايام المعتضد . ثم جمح به طبعه الى اعادة الاساءة ، فقال :

ابلغ وزير الامام عنى
وناد ياذا المصيبـــتين
يموت حلف الندى ويبقى
وأنت من ذا سخين عين
حيـــاة هــذا كموت هــذا
فالطم على الراس باليدين

ومن حكاياته وهو يتولى البريد، ان أخا ابى صخرة ، عامل المدينة ، أهدى اليه فى ليــلة عيــد الاضحى بقرة للاضحية ، فاستقلها العبرتائى وردها اليه مع رقعـــة كتب عليها

كم من يد لى اليك سالفة
وأنت بالحق غير معتـرف
نفســك أهديتهـــا لأذبحهـــا
فصنتها عن مواقع التلف !

وكان من تهتكه انه كان يحب الغلمان ، وهو يروى عن نفسه هذه الحكاية

كنت أتعشق خادما لخالى أحمد بن حمدون، فقمت اليه ليلة لأدب عليه ، فلما اقتربت منه لسعتنى عقرب ، فصرخت ، فقال خالى ما تصنع ها هنا ؟ ..

فقلت جئت لأبول فقال صدقت ، ولكن تبول فى غلامى ، فقلت اوقتى

ولقد سريت مع الغلام لموعد
حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق مغذة (١)
سوداء قد عرفت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها عقربا
دبابة دبت على دباب

***

ويبدو انه تاب عن تهتكه فى شيخوخته ، فجعل يقول مثل هذا القول الرزين :

أقصرت عن طلب البطالة والصبا
لما علانى للمشيب قناع
لله أيام الشباب ولهوه
لو أن أيام الشباب تباع
فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى
ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر الى الدنيا بعين مودع
فلقد دنا سفر وحان وداع
فالحادثات موكلات بالفتى
والناس بعد الحادثات سماع

ومات العبرتائى عن نيف وسبعين سنة ، وكان ذلك سنة ٣٠٢ هـ .

---

(١) مغذة من أغذ اى أسرع السير ويقصد العقرب



عمر بن أبي ربيعة

وذو الشوق القديم ، وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

ويكنى « أبا الخطاب »

وهو شاعر قرشى ، فاتن السمت ، عريق النسب ، ولد يوم مقتل عمر بن الخطاب ، ولهـذا يقول فيه خصومه أى حق رفع ، واى باطل وضع ، فى ذلك اليوم !

وقد عاش طويلا ، حتى شارف الثمانين ، ويقال انه قضى نصف عمره متهتكا ، ونصفه الآخر ناسكا

ولكن تهتكه كان أكثر ما يكون فى فرط مفـازلته للنساء ، حتى انه لم يتورع عن مطاردتهن وهن يؤدين مناسك الحج والعمرة

وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم على سائر القبائل فى كل شىء الا الشعر ، حتى كان عمر بن أبى ربيعة ، فأقر لها العرب بالشعر أيضا .

على انه لم يتفوق على غيره فى مجال من مجالات الشعر الا الغزل ، وقد اعترف له بهذا أكثر معاصريه ، فقال جرير عنه انه انسب الناس ، أى أجملهم نسيبا.

وكان حماد الراوية مفتونا بشعر عمر ، حتى لقـد قيل له ذات يوم ان هناك رجلا لا يعجبه شعر عمر ، فأجاب بقوله : اذهبوا بنا اليه

قالوا : ماذا تصنع به ؟ ..

قال ننزوا على أمة لعلهـا تأتى بمن هو أمثل من عمر ! ..

ويصفه احد معاصريه بقوله

« راق عمر بن أبى ربيعة الناس ، وفاق نظراءه ، وبرعهم بسهولة شعره ، وشـدة الاسر ، وحسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وانطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، واثبات الحجة ، وترجيح الشك فى موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العلل ، وعطف المساءة على العزال ، وقد أحسن التفجع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصفاء ، ان قدح أورى ، وان اعتذر أبرا ، وان تشكى أشجى ، واقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بفرة ، وأسر النوم ، وغم الطير ، واغذ السير ، وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحب وأسر ، وبطن به وأظهره ، وألح وأسف ، وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذل صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه ، وكان بعد هذا كله فصيحا »

وهذا الوصف ، الذى لم يقله أحد فى شاعر آخر فى اى عصر ، وفيه ما فيه من المبالغة ، ومن التناقض فى بعض مواضعه ، يدل بوجه عام على أن عمر كان محبوبا من معاصريه ، ومن ابناء صنعته بخاصة ، لانه كان لا يتكسب بالشعر كغيره ، وكان له من حسبه ونسبه وماله وجماله وظرفه ولطفه ما يحشد حوله قلوب الرجال والنساء ، حتى انه ليقول ان اللواتى عشقنه من النساء كن أكثر ممن عشقهن هو

ويحاول بعض النقاد ان ينفى عن عمر مغامراته مع

النساء ، أو أن يخفف منها ، فيقول انها كانت مسامرات عذرية ولكننا نأخذ عمر باعترافه فيما قاله لأبى سمرة الرومانى ، اذ قال انه — أى أبا سمرة — كان يطوف بالبيت ، فرأى شيخا فى الطواف ، هو عمر ابن أبى ربيعة فى شيخوخته ، فقبض على يده وقال له : يابن ربيعة ، أكل ما قلته فى شعرك فعلته ؟

قال : اليك عنى

قال اسألك بالله ...

قال نعم ، وأستغفر الله !

وكان سليمان بن عبد الملك يسأل عمر ما يمنعك من مدحنا ؟ .. فيجيبه عمر بقوله : انى لا أمدح الرجال ، انما أمدح النساء .

وكان رجال قريش يخشون على نسائهن من شعر عمر .

قال ابن جريج ما دخل على العواتق (أى الفتيات الناضجات) فى مجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر ابن أبى ربيعة

وقال هشام بن عروة لا ترووا فتياتكم شعر ابن أبى ربيعة ، لا يتورطن فى الزنا تورطا !

***

ولا نستطيع ان نجزم بما كان من أمر نسكه فى شيخوخته ، أهو عن عفة أو عن عجز ، ولعل فى قوله ما يقرب لنا الظن الثانى ، اذ يقول : لقد كنت وأنا شاب اعشق ولا أعشق ، فاليوم صرت الى مواراة الحسان الى الممات

ومما يرجح هذا الظن ، انه رأى فى الطواف شابين وسيمين ، فسألهما من يكونان ؟ فلما عرفهما ، قال لهما : انى موكل بالجمال اتبعه ، وانى رأيتكما فراقنى

حسنكما وجمالكما فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

ويروى عنه انه كان مع الوليد بن عبد الملك في ركب، وحرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى الوليد على منكبه أثرا ، فقال له ما هذا الاثر ؟

قال : كنت عند جارية ، اذ جاءتنى جارية برسالة من عند جارية أخرى ، فجعلت تسارنى . فغارت التى كنت احدثها فعضت منكبى . فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث فى أذنى ، حتى بلغت ماترى .

وضحك الوليد ، فلما رجع عمر من الركب ، قيل له : ما الذى كنت تحدث به أمير المؤمنين فأضحكه ؟ . .

قال ما زلنا فى حديث الزنا حتى رجعنا

***

كان من معاصريه جميل بثينة ، شاعر الغزل المأثور . ولكنه كان يعترف لعمر بالسبق . اجتمعا يوما بالابطح ، فأنشد جميل قصيدته التى مطلعها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلى
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل ، واننى
لأقسم مالى عن بثينة من مهل

واكمل القصيدة ، ثم سأل عمر أن ينشد من هذا الروى ، فقال عمر

جرى ناصح بالود بينى وبينها
فقربنى يوم الحصاب الى قتلى (١)
فطارت بحد من فؤادى وقارنت
قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما

---

(١) الحصاب موضع رمى الجمار

معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها : ما بى لهم من ترقب
ولـكن سرى ليس يحمله مثلى

واكمل القصيدة المعروفة ، فقال له جميل هيهات أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا ابدا . والله مايخاطب النساء مخاطبتك أحد

وقام مشـمرا ...

***

وكان عمر كريما مفداقا

يحكي انه هام بامرأة فواعدها ، فلما جاءه رسـول يبشر بقدومها ، أعطاه مائة دينار .

ويروى عنه انه بعد أن كبر ، رأى رجلا يكلم امراة فى الطواف ، فلامه على هــذا وسأله ان يرعى حرمة المكان ـ وهو ما لم يفعله عمر فى شـبابه ـ فقال له الرجل انها ابنة عمى ...

قال عمر هذا أشنع ...

قال انى خطبتهـا لعمى ، فطلب اربعمائة دينـار صداقا ، وأنا غير مطيق ذلك

وشكا اليه من حبها وكلفه بها ، فسار عمر معه الى عمه ، فأعطاه الصداق ، وزوجها له

وحينما دبت الشيخوخة فى أوصال عمر ، تاب عن الشعر وحلف الا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة

وذات ليلة ، هيجت جارية له نزوعه الى الشعر ، فقال

تقول وليـدتى لمـا رأتنى
طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا
وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء
اذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول
فشاقك أم اقيت لها خدينا
فقلت شكا الى أخ محب
كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند
فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها
لغير قلى وكنت بها ضنينا
أردت بمادها فصردت عنها
ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رفيقه فأعتقهم ، لكل بيت عبد او جارية !

***

ولو أردنا ان نعد النساء فى حياة عمر ، لاعيانا العد ، ولكل منهن نصيب فى شعره حتى ان ابنة الخليفة لم تسلم منه .

ذلك ان فاطمة بنت عبد الملك بن مروان قدمت الى مكة للحج ، فجعل عمر يدور حولها ويسمعها من شعره فيها دون أن يبوح باسمها خوفا من غضب الخليفة الذى حذرها منه وتوعده ان تعرض لها

فلما قضت حجها وارتحلت ، قال عمر ، وهذه من ارق غزله

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى
ليتنى مت قبل يوم الرحيل

لا أطيق الـكلام من شدة الخو
ف . ودمعى يسيل كل مسيل
ذرفت عينهـــا وفاضت دموعى
وكلانا يأتى بوجد أصيـــــل
لو خلت خلتى أصـــب نوالا
وحديثـــــا يشفى مع التنويل
ولظــل الخلخــال فوق الحشـــايا
مثل أثناء حيـــــة مقتول
فلقـــد قالت الحبيبة لولا
كثرة النـاس جزت بالتقبيـــل



مطيع بن إياس

ان تشـــته فســـــادا
فعنـــــدنا فســـــاد
او تشـــــئه غـــــلاما
فعنـــــــدنا زيـــــاد
ما ان به التـــــــواء
عنـــا ولا بعـــــاد

هو شاعر من مخضرمی الدولتين الاموية والعباسية. وكان ظريفا خليعا ، حلو العشرة ، مليـح النـادرة ، ماجنا ، متهما فی دينه بالزندقة ، ويكنى آبا سلمی .

وقد ولد ونشأ بالـكوفة ، الا انه فلسطينیالاصل، اذ جاء أبوه الى العراق مع من أمر بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فی وقت قتاله مع ابن الزبير وابن الاشعث ، فاستقر بالـكوفة ، وتزوج ، وولد له مطيع .

ومن جداته امرأة اسمها « أم خارجة » ســار بها المثل ، اذ يقال « اسرع من نكاح أم خارجة » لانهـا كانت مزواجة كثيرة الاولاد

ويروى أحد الرواة ان شيخا من اهل الـكوفة قدم على البصرة ، وكان يحدث عن أبنـاء مطيـع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وسائر ظرفاء الـكوفة ويروى الـكثير عن أعاجيبهم وظرفهم ، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدث عن مطيع .

قال الراوی : فقلت له ، كنت والله أشتهی أن اری مطيعا .

فقال والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيما ...
قال : وأي بلاء القاه من رجل أراه ؟
قال كنت ترى رجلا لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا افتضح به .

وسئل أحد أصحابه عنه ، فقال لا تسألنى عن رجل اذا حضر ملكك ، واذا غاب عنك شاقك ، واذا عرفت بصحبته فضحك .

وذكر حكم الوادى ، المطرب المشهور ، انه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن هذه الابيات :

اكليلها الوان
ووجهها فتان
وخالها فريد
ليس لها جيران
اذا مشت تثنت
كانها ثعبان

فطرب الوليد أيما طرب ، وسأل عن صاحب هذا الشعر ، فقيل له انه شاعر بالكوفة ، اسمه مطيع ابن اياس ، فبعث رسولا الى الكوفة أتى به ، فقبله فى فيه وبين عينيه ، واتخذه نديما ، وشرب معه ، وسمع منه ، وأجزل له العطاء .

وكان مطيع ويحيى بن زياد وابن المقفع ووالبة ابن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا بملك ، وكانوا جميعا يرمون بالزندقة

ويروى النوفلى ان مطيعا كان مأبونا ، فدخل عليه قوم فلاموه على فعله ، وقالوا له : انت فى أدبك وشرفك وسؤددك ترمى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو اقصرت عنها ! ..

فقال جربوه أنتم ، ثم دعوا ان كنتم صادقين
فانصرفوا عنه قائلين قبح الله فعلك وعذرك !
ودعاه حماد عجرد ذات ليلة الى سهرة مع صديقة له من المغنيات ، اسمها ظبية الوادى ، واشترط عليه الا يتكلم أو يتظرف حتى لا يفسدها عليه
ووعد مطيع . ولكنه أخل بالوعد ، وتكلم وتظرف حتى افسد الجارية على حماد ، فسادا أدى بهما الى الخصام
وخرج مطيع يهجو حمادا قائلا للجارية

ألا يا ظبيـــــة الوادى
وذات الجســـد الرادى (١)
وزين المصـــر والـــدار
وزين الحى والنـــــادى
وذات المبســم العـــذب
وذات المبســم البـــادى
أما بالله تســـتحيـــ
ـــين من خـــلة حمـــاد
فحمــــــاد فتى ليس
بذى عز فتنقـــــادى
ولا مـــال ولا عـــز
ولا حـــظ لمرتـــاد
فتـــوبى واتقـــى الله
وبتى حبــــل عجراد
فقـــد ميزت بالحســـن
عن الخلـــق بافـــراد
وهـــذا البين قد حم
فجودى منـــك بالزاد

(١) الرادى البهى

وقد شاعت القصيدة وغناها المغنون وافتضح بها حماد المسكين

وشبيه بذلك ما يروى عنه من ان يحيى بن زياد قال له : انطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فان بينى وبينها مغاضبة ، لتصلح بيننا ، وبئس المصلح انت ! ..

فدخلا عليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيع ساكت ... حتى اذا اكثر ، قال يحيى لمطيع ، ما يسكتك ، اسكت الله صوتك ؟

فقال لها مطيع

انت معتلة عليه ، وما زا
ل مهينا لنفسه فى رضاك

فاعجب يحيى مما سمع ، ودهش له ، فمضى مطيع يقول :

فدعيه وواصلى ابن اياس
جعلت نفسه الفداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت ، فما زال يجلو راسه بها ويقول : الهذا جئت بك يا ابن الزانية ؟ ..

وما زال يحيى يضرب ومطيع يستغيث والجارية تضحك ، حتى تركه وقد داخ

ومن مجونه انه مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحدثان ، فقال لهما : فيم انتما ؟

قالا في قذف المحصنات . قال أو فى الأرض محصنة فتقذفانها ؟

وروى عوف بن زياد انه كتب لمطيع ذات يوم يقول له : « أنا اليوم نشيط للشرب ، فان كنت فارغا فسر الى ، وان كان عندك نبيذ طيب ، وغناء جيد ، جئتك» فجاءته رقعته وعنده حماد الراوية وحكم الوادى ، ومعهم غلام أمرد اسمه زياد ، فكتب اليه مطيع يقول :

نعم ، لنا نبيذ
وعندنا حماد
وخيرنا كثير
والخير مستزاد
وكلنا من طرب
يطير أو يكاد
وعندنا وادينا
وهو لنا عماد
ولهونا لذيذ
لم يلهه العباد
ان تشته فسادا
فعندنا فساد
او تشته غلاما
فعندنا زياد
ما ان به التواء
عنا ولا بعاد

فلما قرأ عوف الرقعة صار اليهم فأتم يومه معهم

***

ومن اقبح شأنه فى الزندقة ، انه اجتمع بيحيى بن زياد وبعض صحابه ، فشربوا أياما تباعا فقال لهم يحيى ليلة من الليالى وهم سكارى ويحكم ، ما صلينا منذ ثلاثة أيام ، فقوموا بنا حتى نصلى

فقالوا نعم

فقام مطيع فأذن واقام .

ثم قالوا : من يتقدم ؟ (١)

فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنية تقدمى فصلى بنا . . .

فتقدمت تصلى بهم وعليها غلالة رقيقة مطيبة بلا

(١) يتقدم : يكون اماما

سراويل ، فلما سجدت بانت سوأتها ، فوثب مطيع وهى ساجدة ، فكشف عن سوأتها وقبلها وقطع صلاته ، ثم قال

ولما بدا . . . جاثما
كراس حليق ولم يعتمد (١)
سجدت اليه وقبلته
كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم وضحكوا وعادوا الى شرابهم .

***

الى هذا الحد بلغت به الزندقة ، ويبدو انه لم يكن يدعيها تظرفا ، وانما كان مؤمنا بها ، أخذها عن بعض كتب الزنادقة فحفظها ولقنها أولاده

وقد أصابته فى كبره علة أقعدته ، فلبس لها ثيابا خضرا ، وجلس على فرش خضر ، وقال له الطبيب : أى شىء تشتهى اليوم ؟

قال أشتهى الا أموت .

ومات بعلته هذه ، بعد ثلاثة اشهر مضت له من خلافة المهدى .

---

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سوأة " اة



والبة بن الحباب

لها ، ولا ذنب لهـــــــــا
حب كـــــاطراف الرمـــــاح
جرحت فؤادى بالهـــــــــوى
فـــالقلب مجـــروح النواحى

لو لم يكن والبة ، ما كان ابو نواس

هو الذى أفسده ، وهو الذى جعل منه شاعرا يملأ الـكون .

وقد روينا طرفا من هذه السيرة ونحن نتحدث عن ابى نواس ، اما هنا ، فقد آن لنا أن نتوسع فى هـذا الحديث .

كان والبة من اهل الـكوفة وكان له ابن عم اسمه أبو بجير الاسدى وكان أبو بجير هذا عامل الخليفة ابى جعفر المنصور على الاهواز .

كان والبة فى زيارته يوما بالاهواز ، حينمـا هبـط عطار من البصرة ، يعرض عطوره على أبى بجير . وكان مع العطار غلامه الحسن بن هانىء ـ الذى أصـــبح أبا نواس فيما بعد ـ فوقع نظر الشاعر الغزل الماجن على الغلام ، فاستملحه من النظرة الاولى .

وتحدث اليه ، فلمس ما عنده من معرفـة وذكاء وحب للشعر وتطلع الى مكانة فيه

وتساءل الغلام : ومن انت ؟

قال انا والبة .

فصاح الغلام متهللا انا والله ، جعلت فداك ، فى طلبك وقد أردت الخروج الى الـكوفة والى بغـداد من أجلك . وان بى شهوة للقائك ، لأبيات لك تقول فيها :

لهـــا ، ولا ذنب لهـــا
حب كاطـــــراف الرماح
جرحت فــــؤادى بالهوى
فالقلب مجـــروح النواحى

***

حينمـــا جاء محمـــد بن أبى العبـــاس السفاح الى البصرة ، عاملا عليها من قبل الخليفة أبى جعفرالمنصور سنة ١٤٧ هـ ، جاءت معه جماعة من الشعراء والمغنين، وأصحبه عمه المنصور، داهية بنى العباس، قوما تعاب صحبتهم ، فكلهم من أهل الزندقة والمجون، وغايته من ذلك أن يبغض ذلك الناس فيه ، فيرتفع ابنه المهـدى عند الناس

كان من هؤلاء المـاجنين الخلعاء ، حماد عجرد ووالبة واشباههما من المنكبين على الخمر والفسوق مع محمد السفاح .

وكان محمد يحب أن يسمع الحكم وهو يغنى له من شعر والبة مثل هذه الابيات :

قد قابلتنـــا الـكؤوس
ودابرتنـــــا النحوس
واليـــــوم هو نيروز
قـــد عظمتــــه المجوس
لم تخطه فى حســاب
وذاك مما تســــوس

فيطرب الامير لمـا يسمع ، ويزيد شرابا ويزيدون

وبمثل هـذه الابيات اشتهر والبة وذاع صيته بين اهل البصرة .

وكان والبة فى نسبته من بنى أســد ، فهو عربى قح ، ولـكنه كان مع ذلك أشبه بالموالى الروم منـه بالعرب ، فهو أشـقر ، أبيض اللون محمره ، ذهبى

الشعر ، واننا لنستدل على هذا الوصف من هجاء أبى العتاهية له

وابن الحباب صليبة زعموا
ومن المحال صليبة أشقر (١)
ما بال من آباؤه عرب الال
ـوان يحسب من بنى قيصر
أترون أهل البدو قد مسخوا
شقرا ؟ أما هـذا من المنكر ؟
أكذا خلقت أبا أسامة ، أم
لطخت سالفتيك بالعصفر ؟
مالى رأيت أباك أسود غر
بيب الفدال كأنه زرزر (٢)
وكأن وجهك حمرة ، رئة
وكأن رأسك طائر أصفر

وقد تعرض والبة للكثير من هجاء الشعراء ، لغرابة لونه فيهم ، ولقبح سيرته فى الناس .

ثم انه كان فى الكوفة ـ وهى يومئذ من قواعد العلم والدين ـ متباعدا عن العلماء والفقهاء والمحدثين وأصحاب الاجتهاد فى الدين ، ملازما لامثاله من الرقعاء العاكفين على الشراب والجوارى والغلمان ، وقد يسكرون فيعربد بعضهم على بعض ، ويقولون فى ذلك شعرا لا حياء فيه . وقد يتهاجون فيفحشون فى القول الى غير حد .

وكان والبة بعد ذلك متلافا يسرف فى الانفاق على الملذات من خمر وطعام وجوار وغلمان ، وعلى دعوة اضرابه لكل ذلك ، برغم انه لم يكن واسع الثراء ،

(١) صليبة عربى قح
(٢) غربيب ، حالك السواد ـ الفدال مؤخر الراس ـ زرزر طائر . اسود

ولا قريبا من الخلفاء ، فكان عماده فى الرزق ، أن يتقرب الى من هم على شاكلته من عمال الخلفاء ، كابن عمه ابى بجير الاسدى عامـــل الاهواز فاذا نضب معين هؤلاء ، لم يستح ان يطلب الصلات من أصحابه الماجنين كحماد عجرد ، الذى أمله مرة وسوفه ، فكتب والبة اليه يقول :

حمـاد ، ما كانت عداتك بالعـدات الـكاذبه (١)
فعلام ياذا المـكرمات وذا الغيوث الصائبه
اخرت ، وهي يسـيرة فى الرد ، حاجـة والبه
فأبو اسـامة حقه احـد الحقوق الواجبـه
فاسـتحى من ترداده فى حاجـة متقـاربه
ليســـــت بكاذبة ولو والله كانت كاذبه
فقضيتها احمـدت غب قضائها فى العاقبـه

وما أن قرأ حماد الابيات ، حتى أحس أنه أصبح ممدوحا كما يمدح الخلفاء والامراء ، فقضى حاجـة والبة .

***

ويحدثنا ابن منظور عن والبة حينما رأى ابا نواس غلاما لاول مرة ، فيقول : « فرأى بدنا حسنا ، وكان جميل الوجه ، وحسن البدن ، فأطار عقله » .

ومنـــذ يومئذ تولى والبة أمر ابى نواس ، وعلمه الشعر والمجون وهو غلام ، وكان بينهما عشرة سيئـة لم يتحرج الاصبـــهانى من روايتها بصراحة فى كتابه « الاغانى » ... بل ان أبا نواس نفسه لم يتحرج من الاعتراف بها بكل صراحة ، وفى روايته ما يدلنا على ان أستاذه والبة هو الذى هيأ له هذا الطريق النكر الذى سلكه طول حياته فأصبح على حد قول الدكتور طه حسين ــ مبغضا عند الناس ومحببا اليهم ... مبغضا

(١) عداتك : وعودك .

لسوء سيرته ، ومحببا لحسن شعره وتقدمه فى الادب الى حد لم يبلغه كثير من معاصريه

وكان والبة يأخذ ابا نواس فى صحبته ويخرج به للنزهة ومعاقرة الخمر ، حتى لا يعقل ولا يعى ما يفعل ، وترتفع بينهما الحشمة

وقد ظل والبة يفعل هذا بأبى نواس وهو حدث ، حتى نجح فى اضعاف خلقه وافساد سلوكه .

ومن لطيف محاوراتهما المرتجلة ، انهما خرجا يوما من الكوفة يريدان الحيرة ، ماشيين ، وارجلهما تفوص فى الرمل ، وقد جاعا ، فدار بينهما هذا الحوار الشعرى المرتجل

قال أبو نواس

يا ليت فيما بيننا ستة
أرغفة ما بينها وزه

قال والبة

من وز أرض الصين يؤتى بها
مشوية تتبعها وزه

قال أبو نواس

خوذابة ، تؤخذ من بعدها
خمر من الحيرية المزه (١)

قال والبة :

يديرها ساق وقد شابها
من ماء مزن صوب مؤتزه (٢)

قال أبو نواس :

طاب لنا العيش ولكننا
أرجلنا فى الرمل مرتزه (٣)

---

(١) خوذابة : طعام من سكر ورز ولحم
(٢) صوب مؤترة سحابة فائرة
(٣) مرتزه مغروزة



الوليد بن يزيد

أتوعد كل جبــــــار عنيد ؟
فهاذاك جبــــــار عنيــــد
اذا لاقيــــــت ربك يوم حشر
فقل ياوب مزقنى الوليـــــــد

وتهون البلية حينما يكون الشاعر ذو المجون من عامة الناس ، فللنـــاس منه ما يروق لهم من مجونه ، فاذا اجترأ فجاوز هذا الحد برز له القانون .

ولـــكن ما القول فى شاعر المجون اذا جاوز الحد ، وكان هو الحاكم الذى يملك القانون ؟

هذا ما كان من أمر خليفة المسلمين الاموى ، الوليد ابن يزيد بن عبد الملك .

كان من فتيان بنى أمية الظرفاء ، وكان أشـــعرهم واجودهم . ولـــكنه كان فاسقا خليعا فى دينه برغم انه من أبناء خؤولة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه القائل

نبى الهــدى خالى ، ومن يك خاله
نبى الهـــدى يقهر به من يفـــاخر

ومع هذا النسب الـكريم ، فهو القــائل حين سئل ما دينه :

يا أيها السائل عن ديننا
نحن على دين ابى شـــاكر
نشربها صرفا وممزوجة
بالسخن أحيانا وبالفاتر

ويقال انه لمــا تولى خلافة المسلمين ، بدأ يومه بان استدعى أهله وسألهم اتدرون لم دعوتكم ؟

قالوا اردت يا امير المؤمنين ان تريبا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه .

فقال نعم ، ولكنى . .

أشهد الله والملائكة الابر
ار والعابدين اهل الصلاح
انني أشتهى السماع وشرب الـ
ـكاس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا
ره يسعى الى بالاقداح

ولما جن الليل ، سمع صياح بنات سلفه هشام ، يندبن اباهن ، فما راعى شعورهن ، ولا احترم قرابتهن له ، وانشد يقول

انى سمعت بليل
ورا المصلى برنه
اذا بنات هشام
يندبن والدهنه
يندبن قرما جليلا
قد كان يعضدهنه
أنا المخنث حقا
ان لم أ . . . . . .

والفعل المحذوف ــ وبنون التوكيد ــ اقبح كلمة فى اللغة !

ويروى ابو الفرج عنه ما هو شر من هذا ، يروى ان الوليد خرج ذات ليلة من مقصورة له الى مقصورة ، فوقع بصره على بنت له معها حاضنتها ، فوثب عليها فافترعها ، فصرخت الحاضنة تقول : انها المجوسية !

قال لها اسكتى .

ثم أكمل :

من راقب الناس مات هما

وفـاز باللـــذة الجســـور

وقد بلغ من استخفافه بأمر الدين ان أشعب دخـل عليه يوما ، فكشف الوليد عن سوأته ، وسأل أشعب أن يسجد لها !

وذكرت جـارية من جـواريه انه قربهـا يوما وهو سكران ، فلما تنحى عنها ، آذنه المؤذن بالصلاة فحلف الا يصلى بالنــــاس غيرها ، فخرجت متلثمة فصلت بالناس !

وقيل ان الوليد بعث الى شراعة ــ وهو من ماجنى الندماء ــ فلمـا قدم ، قال له يا شراعة ، انى لم استحضرك لاسألك عن العلم ، ولا لاستفتيك فى الفقه ، ولا لتحدثنى ولا لتقرئنى القرآن

قال شراعة لو ســألتنى عن هــذا لوجدتنى فيه حمارا .

قال فكيف علمك بالفتوة ؟

قال أنا ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما شئت .

قال : فكيف علمك بالاشربة ؟

قال يسألنى أمير المؤمنين عما أحب .

قال ما قولك فى المـاء ؟

قال هو الحياة ، ويشركنى فيه الحمار .

قال فاللبن ؟

قال ما رأيته قط الا ذكرت أمى فاستحييت .

قال فالخمر ؟

قال تلك السارة البارة ، وشراب أهل الجنة .

قال لله درك ! .. فأى شىء أحســن ما يشرب عليه ؟

قال عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء فى كن من الحر والقر ، كيف يختار عليها شيئا ؟

وكان الوليد على علم بلؤم مجالس الغناء وما يدور فيها ، ولكنه ما كان يقدر أن يصبر عليها . وله فى ذلك خطاب الى بنى أمية يقول لهم فيه :

« يا بنى أمية ، اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم فاعلين ، فجنبوه النساء ، فان الغناء رقية الزنا وانى أقول ذلك فيه على انه احب الى من كل لذة ، وأشهى الى من الماء البارد الى ذى الغلة ، ولكن الحق احق ان يقال » .

فكيف نفسر هذا القول ونوائمه مع صنيعه ، الا ان نقول ان الوليد كان مصابا فى نفسه بالشذوذ ، أو أنه كان مريضا بازدواج الشخصية ، نستشف هذا من الشطر الاول من عبارته هذه ، ومقارنتها بشطرها الاخير ، ومن ارجوزته التى استبدل بها خطبة الجمعة يوم صعد الى المنبر فأبى الا ان يقول للناس شعرا ... قال

الحمد لله ولى الحمد
احمده فى يسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين
وهو الذى ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها
ان لا اله غيره الها
ما ان له فى خلقه شريك
قد خضعت لملكه الملوك
أشهد ان الدين دين أحمد
فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش
القادر الفرد الشديد البطش

ارســــله في خلقه نذيرا
وبالـكتاب واعظـا بشـــيرا
ليظهـــر الله بذاك الدينـــا
وقد جعلنـا قبــل مشركينا
من يطع الله فقد أصـــابا
أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل
قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لمـــــــا بقى لديكم
حى صحيح لا يزال فيكم
انـــكم من بعـــد أن تزلوا
عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحى فانى ناصح
ان الطريق فاعلمن واضــح
من يتق الله يجد غب التقى
يوم الحساب صائرا الى الهدى
أن التقى أفضل شيء في العمل
ارى جماع البر فيه قد دخــل
خافوا الجحيم اخوتى لعلـــكم
يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيــل في الامثــال لو علمتم
فانتفعوا بذاك ان عقلتـــــم
ما يزرع الزارع يوما يحصده
وما يقدم من صلاح يحمده
فاســــتغفروا ربكمو وتوبوا
فالموت منكم فاعلموا قريب

***

آتينا بهذه القصيدة ، لا من أجل فنها الشعرى ، فهى جرداء من ذلك ، ولــكننا أتينـــا بها كدليل على

ازدواج الشخصية عند هـذا الخليفة المريض ، الذى يقول مثل هذا الموضوع على المنبر ، ثم يكون ذات ليلة على غير هذا المزاج ، فيفتح المصحف ، فتقع عيناه ، اول ما تقعان على الآية الكريمة :

« واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد » .

فيصيح بخدمه اسجعا سجعا ؟ علقوه ويعلق المصحف الكريم ، ويأخذ الوليد القوس والنبل فيرميه حتى يمزقه ، ثم يقول له :

اتوعد كل جبار عنيد ؟
فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليد

وسار البيتان الى النـاس ، فازدادوا سخطا على سخط ، ولم يلبثوا بعد قليل أن دبروا له فقتلوه شر قتلة

نقول ان تلك القصيدة المنبرية ايست من جيد الشعر ، بل انها ليست الا نظما متراصا لا فن فيه . وهى لا تمثل شعر الوليد باية حال ، وما نحسب ان له من هذا الطراز الا هذه .

ولكننا ـ على كراهيتنا لمجونه وزندقته ـ نقف ماخوذين بالناحية الجمالية فى الكثير من قصائده فى هذه الاغراض .

قضى الوليد ليلة عند غانية دعته للمبيت عندها ، فلما انصرف ، قال فيها :

قامت الى بتقبيل تعانقنى
ريا العظام كأن المسك فى فيها
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد

نفسى لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك ، لا نوم على سرر
من شدة الوجد تدنيني وادنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها
حان الفراق ، فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد
والله عنى بحسن الفعل يجزيها

ومع طلاقة هذه الابيات ، وارتفاعها عن الاسفاف فى وصف ليلة غرام ، فان الوليد لم يتورع ، من استخفافه الموصل بالدين ، أن يدعو الله لها جزاء ما أحسنت اليه فى « الفعل » فى تلك الليلة !

ومن أجمل خمرياته هذه الابيات التى تجمع بين المجون والفخر فى رقة سائغة سلسالة ، الى حد أن بعض ندمائه كان يرقص عند سماعها

اصدع نجى الهموم بالطرب
وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته
لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقدمها
فهى عجوز تعلو على الحقب (١)
أشهى الى الشرب يوم جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها
حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر
وهى لدى المزج سائل الذهب

---

(١) كانت القهوة عند العرب من أسماء الخمر ، والمقصود بتقدمها انها معتقة

كأنها فى زجاجهـــــــا قبس
تذكو ضيـــــاء فى غير مرتقب
فى فتيـــة من بنى امية اهـــ
ـــل المجـد والمـــأثرات والحسب
ما فى الورى مثلهم ولا بهمـــو
مثــــلى ولا منتم لمثــــل ابى

ومما يدل على سبق الوليد على غيره فى الخمريات قول ابى الفرج ان الشعراء قد أخذوا من اوصـــاف الوليد فى الخمر الـكثير الذى ادخلوه فى أشـــعارهم وسلخوا معانيها ، وقد سـلخ ابو نواس خاصـــة كل معانيه وجعلها فى شعره فكررها فى عدة مواضع منه .

***

قال المدائنى ولمـــا أكثر الوليـــد بن يزيد التهتك وانهمك فى اللذات وشرب الخمر وافرط فى أمره وغيه ، مل الناس أيامه وكرهوه ، وتآمر عليه عقلاء بنى امية فقتلوه .

ولم يعدم الوليـــد بعد انفضـــاض سيرته من ينبرى للدفاع عنه وتبرئته .

يقول ابو الفرج ان المهدى حين جاء ذكر الوليد ـ رماه بالزندقة ، فانبرى ابن علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، الله عز وجل اعظم من أن يولى خلافة النبوة وأمر الامة من لا يؤمن بالله . لقـــــد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهـــــــارته وصلاته ، وحدثنى انه كان اذا حضرت الصـلاة يطرح ثيابا بيضا عليه من مطيبة ومصبغة ، ثم يتوضـــــأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة واحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فاذا فرغ عاد الى تلك

الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود الى شربه ولهوه

***

وهـــــذه الحكاية تؤكد لنا ما زعمنا انه ازدواج الشخصية عند الوليد . فلعله كان مؤمنا فى قلبه ، ولكن الخمر كانت تفسد عليه ايمانه ، فكان اذا أفاق آمن واذا سكر كفر

وتؤكد هذه النظرية حكاية عن نديم له أثير عنده ، اسمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان اديبا ظريفا شاعرا . وكان الوليد لا يصبر على بعده .

كان القاسم عنده فى ليلة اشتد عليه السكر والطرب حتى نام ، فلما فتح عينيه والخمار لايزال فى راسه ، سأل عن القاسم ، فقيل له انصرف ، فغضب وصاح ائتونى برأسه .

وذهبوا فالتمسوا الرجل وذبحوه وأتوا براسه الى الوليد ، فلما رأى الراس أفاق من سكرته وسأل عن قاتله ، فرووا له القصة ، فبكى وندم ورثاه بقصيدة من جيد شعره فى الرثاء .

ومهما يكن من أمر ، فان تاريخ المجون قد عرف عشرات من الماجنين من كل اون وفى كل عصر ، ولكنه لم يعرف أفجر من الوليد فيما صنع بكتاب الله مما لا يغفره له التاريخ الى يوم الدين .

المجونُ

فى العصر الحديث

لم يكن المجون مقصـــورا فى أكثره على تلك الفترة الصاخبة من زمان الدولتين الاموية والعباســـــية . فالمجون قائم فى كل عصر ، باق ببقاء النفس البشرية فى نزواتها وانحرافاتها ، وضحكها وهزلها .

واذا كان صوت المجون قد علا ابان تلك الفترة التى اشرنا اليهـــا كما لم يعل فى اية فترة أخرى من تاريخ الادب ، فذلك لان أثر الحضارة الفارسية عند دخولها على العرب ، بخيرها وشرها ، وبما تحمل فى طياتها من مذاهب معادية لروح الاسلام ، كان من أبرز الاسبـــاب التى حملت الموالى ، ومن صاحب الموالى من العرب ، على الاسراف فى المجون ، اما انسياقا مع التيار ، واما تظرفا وطلبا للشهرة .

على ان المجون قائم فى كل عصر ، وفى كل أرض ، حتى اليوم ، وان كانت لهجة الزندقة منه قد اختفت ، وحـــدة الانحراف الجنسى قد خفت ، واصبح مجون شـــعرائنا المعـــاصرين يجرى اكثره فى الهجاء والدعابة والتظرف وما الى ذلك من الاغراض الهينة

وقد عرفنا فى زماننا نفرا من الشعراء المـــاجنين ، المسرفين فى المجون ، كالمرحومين عبد الحميد الديب ومحمد مصطفى حمام

وكذلك ابتدع المرحوم حسين شفيق المصرى اسلوبا جديدا فى المجون السيـــاسى ، اشتهر باسم « الشـــعر الحلمنتيشى » .. وقوامه معارضة القصائد المشهورة ،

بقصائد مبتدعة ساخرة تدخلها الدارجة فى الكثير من أبياتها ، وتعرض برجال السياسة الذين حكموا مصر فى عهد الاحزاب

وفيما يلى المامة عاجلة باللون الجديد من المجون الذى عرفه العصر الذى نعيش فيه ، وأكثره من الفكاهة الحلوة التى لا توغل فى المجون

***

كان لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على ضخامته ، جانب من المجون

ومن الطف مجون شوقى ، مداعباته لصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وهى مداعبات كثيرة ، دار اكثرها حول لحيته المشهورة ، وجواده الهزيل ، وسيارته العرجاء .

يقول شوقى فى لحية الدكتور محجوب ، وما يسكنها من البراغيث :

براغيث محجوب لم انسها
ولم انس ما طعمت من دمى
تشق خراطيمها جوربى
وتنفذ فى اللحم والاعظم
ترحب بالضيف فوق الطريق
فباب العيادة فالسلم
قد انتشرت جوقة جوقة
كما رشت الارض بالسمسم
وترقص رقص المواسى الحداد
على الجلد والعلق الاسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء
وترفع ألوية الموسم
اذا ما ابن سينا رمى بلغما

رأيت البراغيث فى البـلفم (١)
وتبصرها حول « بيبا » الرئيس
وفى شـاربيه وحول الفم
وبين حفـائر أسـنانه
مع السـوس فى طلب المطعم

وحين استبـدل الدكتور محجوب عربته وجواده ، وكان يسـميه مكسوينى (٢) ، بسـيارة عرجاء ، قال شوقى ، وكان ذلك سنة ١٩٢٤

لـكم فى الخط سـياره
حـديث الجار والجاره
« أوفرلاند » تنبيـك
بها القنصل « طماره » (٣)
اذا حركهـا مالت
على الجنـبين منهـاره
وقـد تحرن احيـانا
وتمشى وحـدها تاره
ولا تشـبعها عـين
من البنـزين فواره
ولا تروى من الزيـت
وان عامت به الفـارد
ترى الشـارع فى ذعر
اذا لاحت من الحـاره
وصبيـانا يضـجون

(١) يقصد بابن سينا الطبيب ، الدكتور محجوب ثابت وكان « ابن سينا » يلقب بالرئيس ، وترى الاشارة فى البيت التالى
(٢) والاسم أصله لاحد زعماء الاحرار بايرلنـده الذى اضرب عن الطعام حتى مات جوعا وقد سمى حصان محجوب مكسـوينى بسبب تجويع محجوب له .
(٣) هو الشيخ طماره وكان اماما بالمفوضية المصرية فى وشنطون .

كما يلقون طيـــــــاره
وفى مقـــــــدمها بوق
وفى المؤخـــــر زمـــاره
فقـــد تمشى كما شـــاءت
وقــــد ترجع مختـــــاره
قضى الله على الســـوا
ق أن يجعلهــــــا داره
يقضى يومه فيهـــــــا
ويلقى الليــــــل مازاره

***

أدنيـــا الخيل « يا مكسى »
كدنيـا النـاس غــداره ؟
لقـــد أبــــدلك الدهـــر
من الاقبـــال ادبـــاره
فصـــبرا يا فتى الخيل
فنفس الحر صبــــــاره
أحـــق أن محجـــوبا
ســـلا عنــك بفخـــاره
وبـــاع الابلــق الحـــر
« بأوفرلاند » نعـــــاره
ولم يعــرف لك الفضـــل
ولا قـــــدر آثاره ؟
ولا والله ما كلفـــــــــ
ـــت محجوبا ولا بـــاره
فلا البرســــيم تــدريه
ولا تعـــــرف نواره

***

ولشوقى ـ غير المحجوبيات ـ طرائف كثيرة ، منهـا

قوله عندما بشر بميلاد ابنه على

صـــــــار شوقى ابا على
فى الزمـــان التـــــرللى
وجنـــاهـــا جنـــابة
ليس فيهــــــــا بأول

***

والشاعر القروى ، رشيد سليم الخورى ، من اكثر الشعراء الجادين فى هذا العصر ، فجل شـعره وطنى موهوب لوجه القومية العربية ، ودعوة الامة العربيـة الى اليقظة والتماسك فى وجه الاستعمار .

ومع هذا ، فان له قصائد قليلة ضاحكة ، كتلك التى قالها عندما جز شاربيه

قالوا حلقت الشـــاربين
ويا ضيـــاع الشـــاربين
فأجبتهم بل بئس ذان
ولا رأت عينـــــاى ذين
الشـــاغلين المزعجـــين
الطـــالعين النـــازلين
ويلى اذا ما ارهفــــا
ذنبيهمــــا كالعقـــربين
ان ينـــزلا نجمـــا فمى
أو يطلعـــا التطمـــنا بعينى
واذا همـــا بســـط الخوا
ن تراهما ســـبقا اليـــدين
فاذا أردت الاكل يقتســـما
ن بينهـــــــــما وبينى
واذا أردت الشرب يمتصا
ن كالاســـــــــفنجتين

فكانني بهما وقد
وقفا بباب المنخرين
عبدان من أشقى العبيد
تقاضيا ملكا بدين

***

وكان صديقنا المرحوم فخري البارودي ، من سراة الشام ، وهو في الوقت نفسه من زعمائها وساستها واعلام الادب والشعر والموسيقى والفكاهة فيها .

وكان يحب صباح الوجوه من الشباب ، وقد رويت عنه في هذا الصدد نوادر كثيرة ، شهدت واحدة منها ، اذ كنا بدمشق ، ومعنا نفر من اعلام الادب والشعر في مصر ، منهم احمد رامى

وكان مقررا أن نصعد الى بلودان ، ونقضى الليلة هناك ، على أن نبيت بأحد فنادقها

واصر فخري البارودي على أن يصحبنا الى بلودان ثم يعود ، وفعل . وهم بالعودة ، فاستبقاه رامى اشفاقا عليه من الطريق في الليل ، فذهب معنا الى الفندق .

وبعث له رامى بصحن من الكمثرى في غرفته ، مع مليح من غلمان الفندق ويبدو ان الغلام كان يعرف بعض حكاياته ، فترك له الصحن على مائدة فيغرفته ، وولى مسرعا دون أن يستجيب لنداء فخري الذي يبدو انه كان يريد ان يقول له شيئا .

ونظم فخري أبياتا يشكر فيها رامى على هديته ، مطلعها :

يا رامى الشعر ؛ كمثراكمو وصلت
مع الرسول ، فأهلا بالحبيبين

وفي الصباح ، كنا نقف ، رامى وانا ومن معنا من

ادباء مصر ، مع نفر من الشباب المحب للأدب
وجاء فخرى ، فألقى تحية الصباح ، وجعل يقبلنا واحدا واحدا ، حتى أدرك رامى ، فتردد قليلا ، ثم قال له :

ـ وانت أيضا   اقبلك لوجه الله

فقال له رامى ، مشيرا الى حكاية « كمثراكمو وصلت مع الرسول » :

ـ أتريد أن تقبلنى لوجه الله أم لوجه الرسول ؟

***

ومن حكاياته انه كان مع بعض أصحابه ، ومنهم المرحوم حسنى تللو، وكان هو الآخر من ظرفاء دمشق، يسمرون فى بيت فخرى ، فهبط عليهم مطرب شاب مليح مخمور ، وجلس يغنيهم حتى الصباح :

وقال فخرى يصف الليلة

وغزال زار ، تكيتنـــا
حرم الظرفاء بذى البلده
فى عتمة آخر شـــوال
اذ جـاء مفـاجـأة وحـده
وأبو عدنان يحدثنـــا
حسنى تللو فوق السده
عن شيخ المفشى والمحشى
والعسل الصافى والزبده
واذا بالظبى يفاجئنـــا
والسكر يوسده زنده
صفقنـــا فرحا وسرورا
وأقمنا الكون بلا قعده
من ثمة راح يغنينا الـ
ـشحرور على نهج البرده

وجعلنـــــا نرقص بالدبكا
وفتــانا يرقص ع الوحــده
وادار الـكأس مشعشـعة
يسـقى وينقلنـــا خـده
فشربت ورحت اقبـــله
خــدا يتـــأرجح كالورده
فيروح ويغـــدو منتشيــا
ويميس بقـــد كالصــعده
واذا بالفجـر يشـير لنـــا
والليــل مشى يطـوى برده
بالقبــــلة راح يودعنـــا
كوداع الطفـــلة للجـــده
وأنا لليــــــوم على نار
أرجـــــو ازيـــارته رده

***

وحكاية أخرى ...

زاره ذات يوم نفر من اصدقائه فى قريته «الجرباء» بالغوطة ، وكان فيهم الشاعر خليل مردم بك .

وباتوا عنده ، فأكرمهم بالطعام والشراب والمنـام فلما كان الصباح ، انصرفوا ولم يودعوه ، واكتشف فخرى بعد انصرافهم ان خليل كتب على جدار الفرذا هذه الابيات باسمه هو ومن معه :

الا يا صـاحب الجربا
بلاك الله بالجـــرب
فانا قـد وجدنا عنــ
ـدك البلوى على كثب
فلـدع البق والنـامو
س يدنينا من العطب

ومذ خفنا الحمـــام فقـــد
لجـانا منـــك للهـــرب

وقرأ فخرى هذه الابيات ، فرد عليهم جميعا بمثلها ، قائلا :

الا يا عصـــبة الاشرا
ر اهل الزور والـكذب
أ أدعـــوكم وأكرمـــكم
واهجى دون ما سبب
يلذكم الهجـــــاء كما
يلذ الحك ذا الجرب
فما انتم سوى غجر
ولستم من بنى العرب
فشـــــعركمو ونثركمو
وهجوكمـــو على ذنبى

***

واحمد رامى ، هو من اظرف ظرفاء عصرنا هذا ، وله مداعبات كثيرة ، منها ان صاحبه الشاعر اللبنانى الجهير امين نخلة دعاه يوما الى الفداء ، وقال انه قد أعد له اكلة ممتعة

فلما ذهب ، وجد ان هذه الاكلة الممتعة هى الضفادع ، التى لا نأكلها نحن المصريين ، فأمسك رامى عنها ، وخرج جائعا ، وكتب هذه القصيدة فى هجاء صاحبه

دعانى الى اكلة ممتعــــه
وقال سيطعمنى ضفدعه
وكيف تكون الضفادع قوتا
ومرقدها الليـل فى منقعه
تبيت مع الطـــين مطمورة
وتـاكل اوضـــاره طيعــه

وتملأ جو الليـالى ضجيجا
يقض على نائم مضـــجعه
لها مشية مثـل زحف القعيـد
اذا دب يسعى على أربعه
وجلد كجلد الحذاء العتيق
تهرا ، وصـــاحبه رقعه
دعانى اليهـا فأمسكت عنها
ومد الى اكلها اصـــــبعه
وراح يقضـقض بالضبتـين
عظـاما لهـا بيننـا قرقعـه
فاقسمت الا اقبـــل فاه
اذا غاب والمنتـأى ارجعـه
وخيل لى ان امد ذراعى
وطـاب لـكفى أن تصـفعه
فلا كان هـذا الطعـام الـكريه
ولا كان يومك يا ضفدعه

...

والشاعر الراحل محمود غنيم ، له اخوانيات كثيرة توغل احيانا فى الهجاء ومن أصلحها للنشر ، انه ذهب مع بعض أصحابه لزيارة الشاعر محمود الخفيف ـ رحمه الله ـ وجاءت الظهيرة ومرت ؛ واوشك العصر ، وهم جياع ، فقال لمحمود الخفيف :

ايه يا محمود جعنـا
هـات لحمـا ورغيفـا
واسـقنا شـايا ثقيلا
لعـــن الله الخفيفـا

ومن مداعباته لصديق له كان يعمل باحدى الدوائر الحكومية ، ورئيسته سيدة

فلان ... نعم الرجل
محتــــرم مبجـــــل
له رئيســـــة اذا
ما أمرت يمتثــــل
حتى اذا ما حمـلت
تــراه أيضــا يحمـل

نماذج من

الشعر الضاحك المعاصر

عبد الغنى سلامة

بين الجد والهزل

يقولون جــــد ولا تهزل
والا غـــدوت بلا « منــزل »
فان الفــكاهة شـــؤم الاديب
وان يك فى منصـــب يعـــزل
فقلت املــكوا أنتم الناطحات
ســـأنأى عن الهم فى معـــزل
مبـــاهج حفت بهـــا جنـــة
ومن يســـع فى نيلهـــا يبـــذل
ســـئمت الاسى ، وحيـــاتى بكم
حيـــــــاة أمر من الحنظـــل
أ أســـكت بين نبـــاح الـــكلاب
لتنهش لحمى باللمز لى ؟ ..
الفت الفـــكاهة . انى بها
ارد الى عمــــــرى الارذل
سأحيـــا لها ... وأسوق الفلاظ
قطيعـــا من الضـــأن لم يهزل
فلا تعجبـــوا ان جززت الخراف
واعملت فى صـــــوفهـــا مغزلى

ضرس شاعر

« نظم شاعر صديق قصيدة يرثى فيها ضرسه مدعيا انه لم يجاوز سن الخمسين مع انه قد ناهز الستين ، فقال عبد الغنى سلامة معارضا قصيدته الباكية »

هل رايتم من راى نوحا غلاما
كيف يحصى عمره خمسين عاما
عمر الشاعر وارتد الى
ارذل العمر ، ولم يشك سآما
يا له ودع ضرسا ناتئا
هاربا من اكل اموال اليتامى
جذره الفانى شجانا نعيه
حين سجاه وواراه الرغاما
ليس بدعا وغريبا ان سقى
ضرسه من ريقه الموت الزؤاما
وغريب ، بل عجيب ان نرى
مثله فى شدقه ضرس اقاما !
ظل يرميه بروع من وغى
سنه الستين طعنا وسهاما !
وهو ان خف الى معركة
جرد الضرس ولم يحمل حساما
كيف يبكيه ، ومثلى لم يجد
فى الثلاثين بفكيه عظاما

وانا الصـــادق لا الـكاذب فى
ان ضرسى لم يذق يوما حراما
لا ولم اطحن به فولا ، ولم
اعتلك فى ســاعة الشــد لجاما

***

انا أولى ببـــــــكاء موجـع
ينصف اللؤلؤ عقــدا ونظــاما
أنا لو عاش لى الضرس الذى
ضـج ناعيه لفـــاخرت الاناما
كنت أكســوه نطــاقا مذهبــا
ثم أبقيه على الصــدر وسـاما

***

ظل يحمى ذلك الضرس لـكى
يحسن الاكل ديوكا وحمـــاما
وانا انشـــــــد ضرســا علنى
أحسن النطق حديثـــا وكلاما
ايه يا شـــاعر عمــرت كما
عمـر الضرس ولم تبق طعـاما
هات اسنـــانك وارحـــل تاركا
لفمى نورا فقــد عاش ظــلاما
من مجـــيرى من ظـــلام معتم
حالك شـــــيع اضراسى تؤاما
جفت الادمع فى مأتمهـــــــــا
وتجلـدت ، ولم أبد اهتمــاما
يا لمهـــدار على ضرس فـــدا
فى نــواح زاد عن نــوح الايامى

عبد السلام شهاب

تفاريح أعياد

ببــاب الخلق قد طــال الوقوف
ولا جدى هناك ، ولا خروف
لقــد سبقت فما أبقت كروش
بها - للأكل - قد خلقت كهوف
لحوم العيــد قد وقفت عليهــا
وأمثالى لهم جلد ، وصوف
بل الاسعاف نعطيــه « الفراوى »
أيسعفنـــا ونتركه يهيف ؟ .
فيا عيد الضحية : هل اضحى
بنفسى فيك ؟ أم ماذا تشوف ؟..

***

الا . . . فى ذمة الحاتى كباب
عليه الفائزون به . . عكوف
فما ظفرت به منا . . بطون
ولا ظفــرت بريحتــه أنوف
اذا ذهب الاخــاء فــلا كــريم
يحن على الفقير ، ولا عطوف
فقل لذوى الذبائح الف ططظ
ولا تســأل اذا غضب القحوف

كفى . . للأسرة احتفلوا بعيد
تساوى الضيف فيه والمضيف
وكم فيه اشترينا من هدايا
وما فيها تليد ، أو طريف
بضائع طالما فتنا عليها
ملقحة ، بها امتلأ الرصيف
ومدخراتنا . . . ضاعت هباء
وضيعها لنا الحس الرهيف
وما انتفعت بها أم رؤوم
ولا . زوج لها وأب رؤوف

***

وقالوا للصحافة جاء عيد
وانت لكل أسرتها رصيف
نعم ، عيد الصحافة جاء يسمى
ونحن به ـ حواليها ـ نطوف
وفى دار النقابة كل يوم
صباح مساء تنتظم الصفوف
ونشبع كلنا خطبا ، وشعرا
وازجالا . بها عملت كشوف
فمن يفرحه فى عيد خروف
ففرحتنا الصحائف والحروف

***

وقالوا لليهود ـ كذاك ـ عيد
وفيهم صاحب حلو ظريف
فطرت اليه يحملنى اشتياقى
وقلت سعدت فصحا يا جوزيف
فقابلنى بكم أهلا وسهلا
وأشبعنى كلاما . . يا لطيف ؟

دماغى منه . حل به صداع
له دق على مخى عنيف
وخفت أموت بين يديه جوعا
فيرفسنى وفى يده الرغيف
وعدت بفردتى خفى حنين
وبعتهما .. لأبلع .. قرص « ريفو »

***

وفى عيد القيامة ، قمت أسعى
وفى ذهنى من الماضى طيوف
عسى ولعل ... آكل لحم ديك
به قلبى — على طول — شغوف
ولكننى رجعت ودمع عينى
على خدى من جوعى ذروف

كان النيل يجرى تحت جفنى
ودمعى منه ينزحه شدوف
وواصلت الصيام برغم أنفى
وعدت كأننى قط أليف
تحجبت الفراخ . . . بلا حياء
وواراتها الستائر والسجوف

وأصبح لحمها سرا مصونا
وحتى أيس يعرفه العريف
وما منع الحجاب لقاء حب
ولكنى — على فقرى — أنوف
وآكل لقمتى — حافا — بكوخى
وليس يهمنى القصر المنيف
وياما قد أكلنا من ديوك
لها روس تتوجها عروف

وقلت غدا لنـــاظره قريب
وفى عيـد الربيـع لنـا قطوف
على شم النسيم ... فطرت صبحا
ورحت على حـــدائقهم أطوف
فلم أر زهـــرة لم يقطفوهـا
ولم تذهب بنضرتهـــا الحتوف
ورائحة الفسـيخ لهـا هبـــوب
وقد عصفت ولا الريح العصوف
وفوق الارض قد فرشت قشور
ملونة ، شـكا منهـا الجروف
فمن بيـض الى بصـل وفجل
عليهـــا انكب جاز منتشـوف
فما يدرى ابن آدم هل ربيع
يطـــالع فى الحدائق أم خريف
ولا يدرى ، ولا مخلوق يدرى
أروض ها هنـالك أم كنيف ؟

***

على ان الذى زاد انفـــلاقى
ومنه أنا على نفسى أســـيف
منــــاظر فى الحدائق للسكارى
وما فيهم ولا رجـــل نظيــف
وكل فتى ... تلوف به فتـاة
سواى ، فليس بى أحد يلوف
فعـــدت لمنزلى أجـرى فرارا
كهتـــلر حين طـــارده زكوف ،
فيالك فســـــحة قلبت بفم
وما يرضى بهــــا الا سـخيف
وهل فيهـا سـوى قرف وغلب
وآفات - بلا حصر - تؤوف ؟

وقلت لزوجتى هـذا ، فثارت
كبركان يقـال له فزوف
ومن فمهـا تشبلق بى لسـان
كما تهوى على الباغى السيوف
اقول لها ، وقد هاجت وماجت
كفى ... فتقول تكفيك الكيوف
انحن اقـل قـدرا او مقـاما
وكرشـك وحده الكرش العفيف
وقلت لها اسكتى ، فبكت بصوت
تردده الحوائط والسـقوف
وقالت : مالنا ــ كالناس ــ عيـد
فقلت لهـا كذا قضت الظـروف
لقد كنا وكنا . ثم صرنا
وقد نظفت من الستر الكفوف
ومطبخنـا . خـلا من كل لون
فما فيه لنـا الا الرفوف
زمان العز ولى . بالاوازى
فلا اوسـيم تنجب او منوف
وليس فتى مرتبـه قروش
كمثل فتى مرتبـه ألوف
فمن يرقص له زمن الفـوازى
فانا لا تحركنا الدفـوف
وكم عيد ، شبعنا فيه لحما
وكانت عنـدنا منه صنوف

***

فخلى عنـك لومى واعذرينى
فمـا فى الفقر عيب او كسوف
انا فى عرض مامتـك اعتقينى
فقـد جننتنى ياست فوفو

وما قلبى بحب الفول مضنى
ولكني امرؤ سهل الوف
فصبرا فى مجال الفول صبرا
فانى عن ذبائحهم عزوف
وفى الامثال قيل الصبر حلو
ومن يصبر فذاك هو الحصيف
وأكل المش خير من خروف
أشكه . . . اذا وجد الخروف
اذا فى العيد أهل البيت صاموا
فليس يهم ما طفح الضيوف
وما ذنبى أسمن فى ضيوف
وجسمي - دائما أبدا - نحيف
ولو أنى استطعت شراء ديك
لقاسمت الخلود أباك خوفو

***

فيا عيد الفكاهة أنت عيدى
وأنت لعمرك العيد اللطيف
وحسبى منك تشبعنى ابتساما
وحسبك اننى رجل شريف
وليس العيد يصنعه طبيخ
وليس العيد يصنعه غريف
وما دمنا معا نحيا ونسعى
فليس أمامنا شىء يخيف

***

نعم ، حقا هى الدنيا حظوظ
وما كالحظ فى الدنيا حليف
اذا ما الناس فازوا بانبساط
فما قد فاتهم . . . شىء طفيف

سوسو

احب سوسو ، وما ادراك ما سوسو
سوسو التى فى هواها الصب موحوس
كم اظهرت دلعا قد زادنى ولعا
ثم اشترت سلعا .. فالجيب متعوس
وقال عقلى : انس سوسو فهى مسرفة
فقلت كلا ... قولى وهو ملحوس
وهامس باسمها فى سره سحرا
والكون فى خنه المحبوك محبوس
فقمت من عز نومى صارخا فزعا
كانما شكنى فى القلب دبوس
وقلت روحى وما تحويه محفظتى
فداء سوسو .. تعالى بس يا سوسو

هن هن

احبهن ، كلهن بيضهن، سمرهن ، حمرهن غير هنه
واين هن: سودهن، صفرهن،خضرهن، زرقهن، أين هنه؟
الا .. وان كلهن بعضهن . . . يشبهن بعضهنه !
وكلهن ، فافهمن واحكمن ، انهن : هن هنه

حسين شفيق المصرى

الفقر والأخلاق

« علو فى الحيــــاة وفى الممات
لحق تلك احــــدى المعجزات »
حيـــاتك كلها كانت صــــعودا
الى غرف الســــطوح العاليات

هى الســـكنى ، وللفقر احتــكام
يمرمغ أنف أقوى الــكائنــــات
وتدفن بعـــــد موتك فوق تل
نزيلا بين أقوام حفــــــــــاة
كأنك قائم فيهم خطيبــــــــا

يهجص فى الليـــــالى الخاليات
بفلســـــــفه من التخريف أدعى
الى ضحكى من النكت اللواتى
تقول الفقر للأخـــلاق صــون
وفيه حشــــــمة للغانيـــــات
فقلت لك اتلهى ما أنت الا
حمـــار من حمـــير ناهقـــات

رأيت الفقر يفســـد كل نفس
باذلال الابـــــاة بنى الابـــــاة
يخلى أشـــجع الشجعان يخشى
من الولد الصغير وم الفتاة
وكم فى الفقر من رجل حرامى
وكم فى الفقر من رجل فلاتى
ولولا المـــال ما صـــلحت أمور
ولم تر كيف حـــل المشـــكلات

رجال أحدثوا البدعا

« امسيت فوق تراب الارض مضطجعا
فما ابالى أراح الصبر أم رجعا ؟ »
مفيش شغل ولا مال نعيش به
والعقل م الراس بعد الياس قد طلعا
ولا رجاء لنـــا ما دام يدفعنـــا
الى البلاء رجال أحدثوا البدعا
أحزاب تلحمة ما فيهمو أحــد
يدرى بشىء اذا لم يفتح الودعا
مخرفون ملاحيس اذا نطقـــــوا
قاقوا مقاقاة وز جاوب البجعا
فحزب شعب وليس الشعب يعرفه
ملخبط المخ طول العمر ما نفعا
وآخرون ادعوا م الجهل انهمو
حزب اتحاد وليس الرأى مجتمعا
فيـــا وزارة بزياداك مهيصـــــة
بهؤلاء فحبـــل الهيصـــة انقطعـــا

خلقت على كيفى

«سواى يهاب الموت او يرهب الردى
وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا »
وكم من فتى مثلى مرازى متلحم
رأى «حمدا» فى « زره » فتقنفدا (١)
« لكل امرىء من دهره ما تعودا »
وعادة هـــذا الزر أن يتبـــلدا

(١) حمد : المرحوم حمد الباسل

خلقت على كيفى وكيف أحبتى
وكيفك أيضا لو تقر على كذا
فلا بائعا دينى بدنيا أصيبها
ولا مظهرا للبقف يوما توددا
ولست وصوليا أريد وظيفة
فانصب رايى للوظيفة مصيدا
اذا أنت أكرمت الحصان ركبته
وان أنت أكرمت الحمار تبغددا
فان كنت يا ابن الناس زيى فاننى
صديقك ما أرغى العذول ، وأزبدا
وان كنت فلعوصا أو ابن صريمة
فدعنى ولا تكثر على الترددا

حسين طنطاوى

اضحك

اسمع ـ فهذا الشعر «حلمنتيشى»
هو ـ سكر ـ والله « سنترافيشى »
فيه الهزار ـ وفيه أيضا ـ حكمة
ونا شاعر فحل « وزيه مفيشى »
« أفكاره » هى كالجواهر «والنبى»
خذها ـ بلا ثمن ـ ولا بقشيش !..

***

اضحك ـ فان الضحك كالياميش
فى طعمه ـ والكحك والارائيش
اضحك ـ صباحا ـ أو مساء ـ مغربا
ليلا ـ بلا بخل ولا تحويش

اضحك ـ لاصحاب ـ لأهل ـ اخوة
« اضحك لى ـ لو حتى ماتعرفنيشى»
اضحك ـ إذا كانت امامك « لحمة »
أو كنت « متفدى بجبنه أريش »
واذا ضحكت أنا « ما تسألنيشى »
عمـــا يضحكنى « ولا تحوشـنيشى »

***

اضحك ـ تجد دنيــاك ـ بنتا حلوة
وقفت «بتضحك لك ـ ولا بتمشيشى»
بوز ـ تجدها ـ غولة بمخالب
بالضرب ـ تنزل فيك ـ والتلطيش !!

***

اضحك أمام مراية ـ تر طلعـة
كالبــدر ـ أو أحــلا ـ بلا تهويش
بوز أمام مراية ـ تر سحنة
كالقرد ـ والله « ما تعجبنيشى »

***

أضحك ـ وكل « مشـا » تحس كأنه
« جاتوهة » والجيم بالتعطيش !..
بوز ـ وكل « عسلا » تحس بحنضل
أو علقم ـ فى البق والنفاشيش ! ..

***

انى صديق الضحك ـ أجرى خلفه
«وانده» له ـ لو فات «ولاشافنيشى»
ويزورنى ـ فى بيتنا ـ وأزوره
فى بيته ـ لو غاب « لو ما يجيشى »

***

انى عدو الحزن ـ لو أنا شفته

فى سكة ـ اجرى « ما تلحقنيشى »
واسك « شباكى » اذا «ست» بكت
أو صوتت ـ « بزجاجه والشيش »

***

لا تزعلوا ـ فالحزن ليل ـ ضلمة
والضحك نور ـ احمر ـ طرابيشي
والضاحكين ـ عقولهم موزونة
والزعلانون ـ عقولهم «مناويشى»

***

ان الحياة حديقة ـ بزهورها
وطيورها ـ ذات الفنا والريش
هى جنة ـ وبنات حور ـ حولنا
تبدى حلاوتها « ولا تخبيشي »
لو شمسها غابت ـ ينور بدرها
ونجومها ـ فالنور «مابيطفيشى»

***

يا أيها الزعلان ـ ان جمالها
«دايما» أمام عيونك الشبش بيش !
افرح بها ـ وانس الهموم فانها
بأظافر ـ فى القلب ـ كالخرابيش
اضحك ـ فان الضحك كاليأميش
فى طعمه ـ والكحك والقراقيش

فهرس

صفحة

كتاب الهلال القادم :

اعلام الادب والفكر والدين يروون

قصة الازهر

رحاب العلم والايمان

يصدر ٥ يناير سنة ١٩٧٣ ـ الثمن ١٠ قروش

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جده ـ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

ليس من المجون أن نكتب عن المجون ، فلقد انشأ الاستاذ العميد الدكتور طه حسين فصولا مطولة عن ابى نواس واصحابه من العابثين والزنادقة ، وكتب عملاق الأدب عباس محمود العقاد عن ابى نواس ايضا ، وعن « جحا ـ الضاحك المضحك » ووضع عشرات من اعلام الأدب المعاصرين عشرات من الكتب عن اهل العبث والمجون فى الأدب العربى ، ولاتزال دواوين هؤلاء تطبع وتنشر على النـــاس وتدرس فى الجامعات حتى يومنا هذا ، والى ما شاء الله كلون من الادب ، الذى يبعث على الابتسامة مرة ، وينتزع من اعماقنـــا القهقهة مرة اخرى ، ولكن كثيرا ما تختفى وراء ابتساماتنا وقهقهاتنا استنكارات للنصوص التى نقراها او استغفارات لله منها .

وامهات الكتب القديمة ، كالاغانى ومعجم ياقوت والف ليلة وغيرها من الكتب التى ينبغى لكل متادب ان يقراها ، لا تخلو ـ على فضلهـا وطرافتها ـ من حكايات مطولة عن شعراء المجون وعبثهم وزندقتهم وانحرافهم

وهذا الكتاب ، دراسة لهذا اللون من الادب ، تصور التيارات التى تخللت تاريخ الأدب العربى فى بعض العصور السياسية المضطربة ، ثم تنتهى الى نماذج لطيفة من عصرنا الحالى ، الذى خفت فيه وطاة المجون ، ونشات فيه الوان لطيفة وسمحة ومستحدثة من الشــــعر الفكه ، شارك فيها اعلام الشعر المعاصر ، كشوقى وحـــافظ ورامى وغنيم وحسين شفيق المصرى وغيرهم .

د/ درويش